روائع الأدب العالمى للناشئين

نداء البرارى

تأليف: چاك لندن

ترجمة: صبرى الفضل

مراجعة: مختار السويفى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٤

هذه ترجمة لرواية :

THE CALL OF THE WILD

By : JACK LONDON

رئيس التحرير : مختار السويفى

مقدمـــة

الكاتب الامريكى الذى يلى مارك توين فى كثرة قرائه هو جاك لندن (١٨٧٦ — ١٩١٦) ، الذى ولد فى سان فرانسسكو بكليفورنيا . كان ابنا لمدرس موســـيقى وعراف متجول اسمه وليم تشانى ، وتزوجت أمه من جون لندن ، وهو رجل اعمال غير ناجح ، أعطاه اسمه .

عمل فى صغره بائعا للجرائد وعاملا فى مصــنع تعليب المواد الغذائية وقرصان محار ، وتشرد وهام على وجهه وقضى بعض الليالى فى السجن . لكنه كان ميالا للقراءة ويقال انه التهم كتب مكتبة أوكلاند ، حيث كرس نفسه فى البداية لقراءة قصص المغامرات وبعدها

لكتابات مؤلفى عصره أمثال هربرت سبنسر ونيتشـــــه وكارل ماركس .

وفى ١٨٩٣ اشترك فى رحـــلة بحرية فى المحيط الباسيفيكى وتجول فى ولايات كندا الشـــمالية . وبعد عودته منها دخل جامعة كليفورنيا ، حيث أتم فصـــلا دراسيا واحدا قبل أن ينضم لهوجة كلونديك فى البحث عن الذهب فى عام ١٩٨٧ .وهنـــاك واجه المناظر البدائية ، وتأثر بالشخصيات البدائية التى أمدته بمادة الكتابة المناسبة لرغبات قراء المجلات الشهرية للعالم الذى تدور فيه قصص كتابه الاول « ابن الذئب » . وحصـــلت قصصه هذه على استحسان محلى وعالمى فيما بعد .

عالج جاك لندن فى قصصه موضـــوعات ذكية مثيرة ، مفعمة بالحيوية والنشـــاط والحركة . وكانت تتضمن موضوعات قوية عن العودة الى الاسلاف التى ابتعدت عنها الأنسال . وكان أبطـــاله من الحيوانات وسيلة مناسبة يعبر بها عن خيالاته الجامحة .. فهو

توليفة امريكية مشميزة من الانسان القوى والذكى فى نفس الوقت ، رجل المغامرات والقارىء المثقف ، مثل ، ميلفيل الذى كان معجبا به ، ومثل ، هيمنجواى فيما بعد .

لقد تعلم جاك لندن مبكرا أن يناضل عن نفسه مثل ابطاله الحيوانات فى رواياتيه « نداء البرارى » و « الناب الأبيض » وهما من افضل ما كتب فى هذا المجال . لقد خاض تجارب لا يخوضها عادة كاتب أو رجل أدب . وأكثر كتاباته خيالا هى روايته عن انسان ما قبل التاريخ « قبل آدم » التى كانت لها بعض الصلة بدراسته لنظرية داروين .

وكصحفى قام بتغطية الحرب الروسية اليابانية . وقام بعدد من الرحلات البحرية فى البحار الجنـوبية ومنطقة الكاريبى فى مركب خاص ، مما يدل على وضعه المالى الناجح ، وشيد لنفسـه منزلا منيفا لكن دمره حريق بعد الانتهاء منه بقليل . لقد كون ثروته وأنفقها بنفس السرعة التى كونها بها .. وبعد زواج فاشـل

صوره فى روايته « مارتن ايدن » تزوج من شارمين كتريدج .

وفى حياته القصيرة نشر حوالى خمسين مجلدا من رواية ومسرحية وحكاية ، عارضا فلسفته غير المعقدة عن التطور والموائمة والتحليل الفلسـفى .. وظلت شهرته ذائعة فى العالم خاصة فى الاتحاد السـوفيتى السابق ، حيث نشرت طبعة تذكارية لاعماله فى عام ١٩٥٦ ونفدت خلال خمس ساعات .

ومن اعماله :

ابن الذئب (١٩٠٠) ، أبناء الصقيع (١٩٠٢) ابنة الثلوج (١٩٠٢) ، نداء البرارى (١٩٠٣) ، قوم الجحيم (١٩٠٣) ذئب البحر (١٩٠٤) ، الناب الأبيض (١٩٠٦) ، الكعب الحديدى (١٩٠٧) ، مارتن ايدن (١٩٠٩) ، الثورة ومقالات أخرى (١٩١٠) ، حكايات البحر الجنوبى (١٩١١) ، وادى القمر (١٩١٣) ، جون بارلكيورن (١٩١٣) ، قوة الاقوياء (١٩١٤) ، الوباء القرمزى (١٩١٥) .

« المترجم »

الفصـــل الأول

رحـلة الى الشـمال

لم يكن باك بقارىء للصـــــحف ، لذلك لم يعرف ما ينتظره من ازعاج ولا الاهوال التى كانت فى الطريق اليه والى كل كلب آخر قوى دافىء الجسد . فلقد عثر الناس على المعدن الأصفر الذى يسمى ذهبا ، فتدافعوا بالآلاف الى أرض الشـــــمال . وهؤلاء الناس كانوا يريدون كلابا ، والكلاب التى يريدونها من النوع القوى المتين .. كلاب لها فراء ثقيل من الشعر الطويل ليحميها من الثلجوالجليد وتقدر على العمل الشاق .

كان باك يعيش فى منزل فسيح فى واد مشمس .. وكان المنزل يسمى بدار القاضى ميللر ، الذى يكاد أن يكون مخفيا بين الاشجار ويتوارى خلف الطريق .. وكانت المساحة الخلفية للمنزل أكبر من المساحة التى

على الواجهة ، حيث توجد العديد من المبانى وبيوت الخدم والحقول الخضراء والغابات الوارفة .

كان هذا هو عالم باك يتحكم فيه كما لو كان ملكا . لقد ولد هنا وعاش سنوات عمره الأربع .. حقا كانت هناك الكلاب الاخرى ، فهو مكان مترامى الاطراف .. لكن الكلاب الأخرى لم تكن ذات أهمية . فهى تأتى وتذهب وتعيش فى الخارج أو فى أركان المنزل دون أن يشعر بها أحد .

ولم يكن باك مثل هذه الكلاب . فالمكان كله كان خاصا به . فكان يسبح فى البحيرة أو يذهب للصيد مع أبناء القاضى ، ويرافق ابنتى القاضى فى نزهتهما عند مغيب الشمس أن فى الصباح الباكر .. وفى ليالى الشتاء كان يرقد عند قدمى القاضى أمام مدفأة المكتبة الكبيرة ، وكان يحمل أحفاد القاضى على ظهره أو يدحرجهم فوق النجيل . وكان يمشى بين الكلاب الاخرى بكبرياء وخيلاء ، لأنه كان ملكا .. ملكا على كل من حوله فى دار القاضى ميللر .

كان والد باك من فصيلة سانت برنارد الضخمة ، وكان المرافق الحميم للقاضى ميللر ، وجاهد باك فى مواصلة السير على درب أبيه . لم يكن فى ضخامة أبيه لأن أمه ، شيب ، كانت من فصيلة كلاب الرعى الاسكتلندية ، لكن باك كان قادرا على أن يسلك سلوك ملك حقيقى .. وبالرغم من كبرياء باك العظيم ، الا انه لم يكن من كلاب المنازل المدللة .. فالصيد وخلافه من الرياضات التى تتم فى الهواء الطلق قللت من كمية الدهون لديه ، وجعلت جسمه ممشوقا قويا . وحافظ حبه للماء والسباحة على رونقه ورشاقته وجعله فى صحة ممتازة .

كان باك هذا فى خريف ١٨٩٧ ، عندما جـــذب اكتشاف الذهب فى كلونדايك الرجال من كل أنحاء العالم الى الشمال المتجمد . لكن باك لم يكن بقارىء للصحف .. كما لم يكن يعرف أن مانويل ، أحد مســـاعدى البستانى ، ما هو الا رجلا سيئا . وأن مانويل كان فى حاجة ماسة للمال .

وفى احدى الليالى عندما كان القاضى وأولاده فى الخارج ، اخذ مانويل باك للتريض . لم يرهما أحد وهما يعبران الغابات الى المحطة الصـــغيرة للقطار . وفى نفس المحطة تحـــدث رجل مع مانويل وأعطاه بعض النقود .

ووضع مانويل حبلا سميكا حول رقبة باك . **وقال مانويل للغريب :**

ــ اذا سحبته بشدة ، لن يستطيع التنفس .

سمح باك لمانويل أن يضع الحبل حول رقبته ، لانه قد تعلم أن يثق فيمن يعرفهم من الرجال . ولكن عندما وضع طرف الحبل فى يد الغريب تذمر واصدر هديرا غاضبا ليبدى امتعاضه وعدم رضاه . ولدهشته شد الرجل الحبل حول رقبته ، خانقا تنفسه .. فقفز على الرجل فى غضب سريع ، لكن الرجل قابله فى منتصف المسافة وأمسك به قرب جنحرته ، وبالتواءة خاطفة من يده ، ألقى بباك على ظهره . ثم شد الحبل بدون رحمة بينما أخذ باك يقاوم بحنق ، ولســــــانه يتدلى من فمه

وصدره العظيم يعلو ويهبط بدون نتيجة . لم يعامله أحد فى حياته مطلقا بهذه الطريقة المشينة ، ولم يشعر فى حياته بمثل هذا الغضب . لكن قوته هجرته وانغلقت عيناه ، ولم يعرف شيئا عندما وصل القطار والقى به الرجلان فى داخله .

والأمر التالى الذى عرفه هو أن لسانه يؤلمه .. وأنبأته ضجة القطار أين هو .. لقد ســـــافر مرات كثيرة مع القاضى ، وكان يعرف الاحســـاس بركوب القطار . وفتح عينيه والغضب يقفز منهما . وقفز الرجل نحو حنجرته ، لكن باك كان أسرع حيث أطبقت أسنانه على يد الرجل ولم يتوقف عن العض حتى أحكم الحبل حول عنقه ثانية .

تكلم الرجل عن تلك الواقعة فى تلك الليلة داخل كوخ صغير على ساحل سان فرانسسكو ، قائلا :

ـ لقد حصلت على خمسين دولارا فقط لذلك ، ولكنى لن افعلها ثانية حتى مقابل الف دولار .

وكان منديله الملطخ بالدم مربوطا حول يده **فسأله** الرجل الآخر :

— كم دفعت مقابل الكلب ؟

فكان الجواب :

— مائة بالتمام والكمال .

فقال الرجل الآخر :

— سأعطيك مائة وخمسين .. فالكلب يستحق !

كان باك عاجزا عن التفكير بوضوح ويعانى ألما فظيعا ، وحاول أن يواجه الرجلين ، لكنهما طرحاه أرضا وشدا الحبل أكثر وأكثر .. ثم أزيل الحبل والقى به فى قفص ضيق .

رقد هناك لبقية الليلة بطولها ، وكان حانقا لأن كبرياءه قد جرحت ، ولم يقدر على فهم معنى كل هذا . ماذا يريد منه هؤلاء الرجال الغرباء ؟ ولماذا يضعونه سجينا فى قفص ضيق ؟ .. لم يعرف السبب ، لكنه شعر بشىء بغيض سيحدث له . ولعدة مرات أثناء

الليل كان يقفز واقفا ، متوقعا أن يرى القاضى ميللر أو الاولاد . ولكن كل مرة كان وجه الغريب هو الذى يتطلع اليه على الضوء الأصفر لشمعة صغيرة . وفى كل مرة تتحول النبحة المرحة فى حنجرة باك الى زمجرة حانقة .

وفى الصباح دخل اربعة رجال وحملوا القفص . كان منظرهم ينم عن أنهم أشرار ، واخذ باك يزمجر ويقفز عليهم من داخل القضبان . وكانوا يضحكون لا اكثر أو يدسون بعصى نحوه . فحاول فى البداية أن يعض العصى . ثم رقد وسمح لهم برفع القفص الى قطار السكة الحديد . ثم بدأ هو مع القفص الذى كان سجينا فيه تتلقفهما أيد كثيرة . ثم تولى مسئوليته مع بعض رجال فى احد المكاتب ، وحملوه مرة اخرى فى قطار آخر ، ثم وضعوه فى سفينة صغيرة ، واخذوه من السفينة الى محطة سكة حديد كبيرة ، واخيرا القوه فى قطار آخر .

وسافر باك على هذا القطار لمدة يومين وليلتين ، وطوال هذه المدة لم يذق طعم الأكل أو الشرب . وكان

من حنقه يزمجر على كل من يأتى اليه . وعندما القى بنفسه على قضبان القفص ، اخذوا يضحكون عليه ، وهم يهدرون وينبحون مثل الكلاب ، أو يموءون مثل القطط ، أو يحركون أذرعتهم ويصوصوون مثل الطيور. كان يعلم أن كل هذا ما هو الا سخف رخيص ، لكنه يطعنه فى كبريائه ويجعل غضبه ينمو ويزداد . لم يعبأ كثيرا بالجوع ، عانى كثيرا من عدم حصوله على الماء .

كان سعيدا لأمر واحد ، أنهم رفعوا الحبل من حول عنقه . والآن ، سوف يريهم طالما أن عنقه قد تحررت من الحبل ! .. انهم لن يفعلوها مرة اخرى مطلقا . ولمدة يومين وليلتين لم يأكل ولم يشرب فاختزن خلال هذه المدة قدرا كبيرا من الغضب .. وتحولت عيناه الى اللون الأحمر بلون الدم ، وتحول هو الى شيطان برى . لقد تبدلت صورته كثيرا حتى أن القاضى نفسه لن يستطيع التعرف عليه . وفى مدينة سياتل تنفس الرجال الصعداء عندما حملوه واخرجوه من القطار .

حمل القفص أربعة رجال أشداء من القطار الى ساحة خلفية مسورة بسور مرتفع . وخرج رجل سمين ووقع على دفتر قدمه له السائق . والقى باك بنفسه على قضبان القفص فى عنف . فابتسم الرجل بقسوة ، وأحضر فأسا وهراوة ، وسأله السائق :

ـــ انك لن تخرجه الآن ، أليس كذلك ؟

فقال الرجل ، دافعـــا الفأس داخل القفص لكى يفتحه :

ـــ بالتأكيد .

ركض الرجال الأربعة الذين حملوه مبتعدين على الفور واستعدوا لمشاهدة العرض من فوق الحائط .

واندفع باك نحو القضـــبان الخشبية المتكسرة ، وأخذ يعضها ويشق طريقه من بينها ، كان متلهفا بشكل جنونى للخروج . وكان الرجل ذو الفأس رابط الجأش أثناء محاولة إخراجه ، وقال ، عندما هيأ فتحة تكفى ليمر منها باك بجسده الضخم :

— والآن ، هيا أيها الشيطان الأحمر العينين !

وكان فى ذلك الوقت قد ألقى الفأس ونقل الهراوة الى يده اليمنى . نعم ، أصبح باك شـــــيطانا أحمر العينين حقا ، عندما أعد نفسه للقفز . لقد وقف شعره برمته وبرقت عيناه الحمراوان بالجنون . وقفز مباشرة نحو الرجل . وفى منتصف الهواء عندما كان فمه ينقض على الرجل ، تلقى ضربة جعلته يغلق فمه فى ألم فظيع .. وسقط أرضا على ظهره .. لم يضربه أحد مطلقا بهراوة فى حياته ، ولم يفهم الموقف .. وبدمدمة ألم وقف على أرجله ثانية . وقفز نحو الرجل ، لكنه تلقى ضربة أخرى كومته على الارض .. وعرف هذه المرة أنها كانت الهراوة ، لكنه أصبح من شدة غضبه لا يعبأ بشىء . وقام بالهجوم مرات عديدة . وفى كل مرة توقف الهراوة الهجمة وتلقيه أرضا .

وبعد ضربة أشد عنفا وقف على أرجله ببطء ، لا يقدر على الهجوم . وتحرك بدون قوة ، والدم ينزف من أنفه وفمه ومن أذنيه . وأصبح فراؤه الجميل ملطخا



وانهال عليه بالهراوة !

بالدم . عندئذ تقدم الرجل واعطاه لطمة رهيبة على الأنف . ولم يكن كل الألم الذى قد عاناه شيئا يذكر مثل الألم الفظيع الذى شعر به حاليا . فصرخ باك من الألم والقى بنفسه مرة أخرى على الرجل . لكن الرجل نقل الهراوة من اليمين الى اليسار ، وأمسك به من فوق حنجرته بهدوء ، وفى نفس الوقت شده الى أسفل والى الخلف . فدار باك استدارة كاملة فى الهواء ، ثم سقط على الارض على رأسه وصدره .

ولآخر مرة قام بالهجوم . وضربه الرجل ضربته القاصمة التى أدخرها عن قصد لهذه المرة . فأصبح باك عاجزا ، وسقط . . ولم يعرف شيئا بعد ذلك !

صاح أحد الرجال من فوق الحائط قائلا :

ــ انه يعرف كيف يروض الكلاب ! انه متدرب على ذلك بالتأكيد !

فتح باك عينيــــه ببطء . لم تعد لديه قوة على النهوض . كان راقدا حيث سقط . ومن مكانه تطلع الى الرجل الذى ضربه مرات عديدة .

قال الرجل محدثا نفسه بصوت عال :

ــ ان اسمه باك .

كان يقرأ رسالة عن القفص وباك ، **واستمر قائلا بصوت ودود :**

ــ حســــــن يا باك ، يا ولدى . لقد انتهينا من مشكلتنا البسيطة . أرجو أن يكون هذا كافيا . لقد علمت مكانك ، وأنا أعلم مكانى . كن كلبا طيبا ، وكل شىء سيسير على ما يرام . كن كلبا سيئا ، وسوف أضربك بلا رحمة . هل تفهم ؟

وكان أثناء حديثه يلمس ، بلا خوف ، الراس التى كان قد ضربها بكل قوة . وعلى الرغم من أن شعر باك وقف تماما عند لمسة يده ، الا أنه تحملها بدون زمجرة . وعندما أحضر الرجل له الماء ، شرب بشغف . وفيما بعد أكل من يد الرجل وجبة كبيرة من اللحم غير المطبوخ

لقد عرف أنه ضرب ، لكنه لم يكسر . لقد أدرك أنه لا فرصة لديه أمام رجل بعصــــا غليظة . لقد تعلم

الدرس ، ولم ينساه فى كل حياته . انه أول لقاء له مع قانون العصا . وأصبحت الحياة الآن ذات وجه أعنف .

ومع مرور الايام ، جاءت كلاب اخرى فى صناديق ومربوطة بحبال . البعض منهم جاء بهدوء والبعض الآخر جاء مزمجرا كما جاء هو .. وراقبهم جميعاً يمرون تحت سلطة الرجل ذى الهراوة . وتذكر باك الدرس مرات ومرات ، عند مشاهدته لكل نزال قاس : كان الرجل ذو الهراوة هو المشرع للقانون والسيد الذى يطاع .. ولم يعنى ذلك أن على باك أن يحب الرجل ، على الرغم من رؤيته لكلاب مضروبة أبدت علامات الصداقة والمودة للرجل . كما راى ، ايضا ، احد الكلاب الذى لم يبد صداقة ولا طاعة وقتل فى النزال .

واخذ الرجال يجيئون من حين لآخر .. كانوا غرباء يتحدثون مع الرجـــل ذى الهراوة مفعمين بكل أنواع الاثارة . وعندما يبرز الغرباء النقود ، كانوا يأخذون واحدا أو أكثر من الكلاب يذهبون . وكان باك يتساءل مندهشا أين كانوا يذهبون ، لانهم يذهبون ولا يعودون .

لكنه كان يخشى المستقبل ، وكان سعيدا فى كل مرة لايقع عليه الاختيار .

لكن جاء دور باك اخيرا . كان بيرولت رجلا صغير الحجم يتحدث بلغة انجليزية ضعيفة . وكان يستخدم ، ايضا ، كثيرا من التعبيرات الغـــريبة والفظة التى لم يستطع باك أن يفهمها . **وصرخ عندما رأى باك قائلا :**

ـــ ايه ! هذا كلب قوى ، ضخم ! بكم ؟!!

فكانت الاجابة السريعة من الرجل ذى الهراوة :

ثلاثمائة ، وهو هدية بهذا السعر . والنقود التى تدفعها ما هى الا نقود الحكومة . انك لا يمكن أن تخسر شيئا يا بيرولت ، ايه ؟

فابتسم بيرولت . ولما كان سعر الكلاب قد ارتفع بشكل كبير ، فلم يعد هذا مبلغا كبيرا مقابل حيوان بهذا الجمال . ان الحكومة الكندية لن تخسر ، وخطاباتها لن تنتقل ببطء . كان بيرولت يفهم فى الكلاب . فعندما نظر الى باك ، علم أنه واحد من ألف كلب . **وهمس لنفسه قائلا :**

— بل واحد من عشرات الآلاف .

رأى باك النقود يتداولها الرجلان . ولم يندهش عندما قاده الرجل صغير الحجم هو وكلبة اخرى تسمى كيرلى . وكانت هذه آخر مرة يرى فيها الرجل ذا الهراوة .. وعندما تطلعا من السفينة هو وكيرلى الى مدينة سياتل ، كانت آخر مرة يريا فيها أرض الجنوب الدافئة .. وقادهما بيرولت هو وكيرلى وأعطاهما لرجل يدعى فرانسوا ، كان بيرولت كنديا من أصل فرنسى وله بشرة سمراء ، ولكن فرانسوا ، وهو أيضا كندى من أصل فرنسى كان أشد سمرة منه . كانا نوعا جديدا من الرجال بالنسبة لباك . وعلى الرغم من أنه لم يكن لهما أى حب الا انه تعلم أن يحترمهما . وعرف بسرعة أن بيرولت وفرانسوا كانا رجلين عادلين ، هادئين ومنصفين .. وكانا على دراية كبيرة بعالم الكلاب .

وفى السفينة انضم باك وكيرلى الى كلبين آخرين .. أحدهما كان زميلا ضخما ابيض كالثلج من سبيتزبرجن يدعى سبيتز أحضره أحد قباطنة البحر . وكان ودودا

بطريقة لا يمكن الاطمئنان لها .. فكان يبتسم فى وجهك وهو يخطط سرا لخدعة مضللة — مثلما سرق الطعام من باك ، وكل ما فعله باك هو أن أعاد عظمته بيده . وأدرك باك أن فرانسوا قد عامله بطريقة عادلة .

أما الكلب الآخر ويدعى ديف ، فلم يكن ايجابيا فى أى شىء . ولم يحاول أن يسرق منهما أى شىء .. كان زميلا غبيا غير ودود ، وأبدى لكيرلى بصراحة أن كل ما يرغبه هو أن يترك فى حاله .. وأبدى لباك ، أيضا ، أنه اذا لم يترك فى حاله فسيواجه مشاكل . كان ديف يأكل وينام ، ولا يهتم بشىء ، حتى ولا عندما مرت السفينة فى بحار هائجة . وعندما ثار باك وكيرلى وأصبحا شبه مسعورين ، رفع رأسه وكأنه تضايق ، وتطلع اليهما ، ثم غط ثانية فى النوم .

استمرت السفينة فى طريقها ليل نهار ، تعلو وتهبط ، والايام رتيبة متشابهة ، لكن باك لاحظ أن الطقس يزداد برودة باستمرار . وأخيرا ، فى صباح أحد الايام توقفت السفينة ، وثار وهاج كل من عليها . وشعر باك بالقلق ،

كما شعر الكلاب الآخرون بذلك ، وأدرك بتغير قريب الحدوث . ووضع فرانســـوا حبلا حول أعناقهم ، وأخرجهم من السفينة . وعند أول خطوة ، غرزت أقدام باك فى شيء يشـــبه الطين . كان أبيض رخوا فقفز متراجعا مع زمجرة سريعة . وكان كثير من هذه المادة يتساقط فى الهواء . فتشممها بفضول ، ثم تذوق بعضا منها بلسانه . كانت تلسع كالنار ، ثم تزول فى لحظتها . فحيره هذا . وحاول ذلك مرة أخرى وكانت نفس النتيجة .. وضحك من كانوا يراقبونه بصوت مجلجل ، وأحس هو بالخجل . ولم يعرف لماذا ، اذ كان هذا أول ثلج يشاهده فى حياته !

الفصل الثاني

قانون البراري

كان أول يوم لباك فى هذه البلاد الجديدة كحلم سيء .. وكانت كل ساعة مليئة بالمفاجآت المدهشة . لقد ألقوا به بغتة فى قلب عالم البرارى .. ولم تكن هذه حياة كسل والسترخاء ، و تقبلها الشمس قبنة حانية ، بلا عمل سوى مضيعة الوقت . فلا يوجد هنا أى قدر من السلام أو الراحة او حتى لحظة أمان . فكان من الضرورى عليه أن يكون متيقظا دائم الحذر ، لان هذه الكلاب وهؤلاء الرجال يسوا كلاب مدن ولا رجال مدن . بل كانوا ، جميعهم ، متوحشين عنيفين ، ولا يعرفون سوى قانون القوة .

انه لم ير أبدا كلابا تتقاتل مثلما تتقاتل هذه المخلوقات الذئبية الضارية . وعلمته تجربته الاولى درسا لن ينساه أبدا . حقيقى ان ذلك لم يحدث له ، والا كان قد مات .

لقد عسكروا قرب مخزن خشـــــب ، وذهبت كيرلى بطريقتها الودودة قرب كلب كبير . وفجأة انقض الكلب الكبير على كيرلى . وسمع صوت أسنان تتقابل ، ثم قفز الكلب الكبير متراجعا ، وترك وجه كيرلى مفتوحا من العين حتى الفم .

هذه طـــــريقة الذئب فى القتال ، يضرب ويقفز متراجعا ، ولكن هناك المزيد عن هذا . اذ ركض ثلاثون أو أربعون كلبا الى المكان ووقفوا حول الكلبين فى حلقة صامتة متلهفة . لم يفهم باك كفه هذا التلهف الصامت ، ولا الطريقة التى تتحرك بها ألسنتهم . اندفعت كيرلى نحو الكلب الكبير ، الذى ضربها ثانية وقفز جانبا . ثم أوقفها فى اندفاعها التالى بصدره ، بطريقة فى منتهى الغـــرابة جعلت كيرلى ترتطم بالارض ولم تنهض من بعدها أبدا . والكلاب الاخرى تنتظر حدوث هذا . فأخذوا يتقافزون فوق كيرلى فى ضجة هائجة وجميعهم ينبحون ويزمجرون .

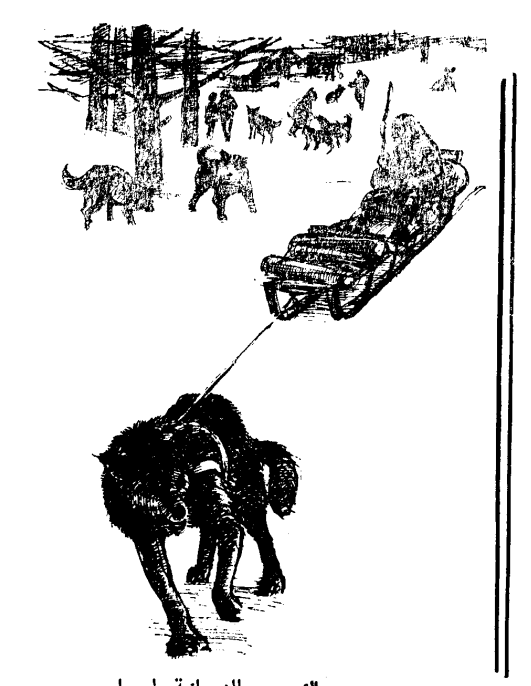
حدث هذا فى عجالة مفاجئة حتى أن باك تسمر فى

مكانه مندهشا . ورأى سبيتز ضاحكا ، ورأى فرانسوا ، يؤرجح فأسا وينطلق نحو جمهرة الكلاب . ويساعده ثلاثة رجال مع هراواتهم لتفريقهم . ولم يستغرق ذلك كثيرا . اذ تم تفريق آخر الكلاب بعد دقيقتين من سقوط كيرلى . لكنها ظلت راقدة فى مكانها بلا حراك وسط الثلج المغطى بدمائها ، والمتناثر فى بقع حمراء وسط البياض الناصع . وأصبح منظر كيرلى كثيرا ما يعود لباك ليزعجه فى أحلامه ويقلق منامه . وهكذا كانت الحياة . لا مكان للعب مشروع . لو سقط مرة واحدة فستكون السقطة النهائية له .. حسن ، فعلى باك اذن أن يعمل بكل ما فى وسعه على الا يسقط أبدا .. وضحك سبيتز مرة أخرى ، ومنذ تلك اللحظة شعر باك بكراهية شديدة تجاهه .

وبعد موت كيرلى مباشرة ، تلقى باك مفاجأة أخرى أصابته بدهشة عظمى . اذ البسه فرانسوا لجاما .. لجاما مثل تلك التى يلبسوها للجياد فى بلده . وكما كان يرى الجياد تعمل ، هيأوه هو أيضا للعمل ، وأخذ يجر فرانسوا وهو راكب فى زحافة الى الغابة ويعود منها

محملا بالاخشاب . وبالرغم من انل اعتبر هذا العمل طعنة فى كبريائه ، الا انه كان حكيما ولم يحاول أن يمتنع أو يرفض . وبدأ يعمل بشغف وبذل كل ما وسعه، ولو أن كل شيء كان جديدا وغريبا عليه .

كان فرانسوا يتوقع من كل واحد منهم أن يطيعه فى الحال . وكان ديف ، الذى له خبرة طويلة فى جر الزحافات ، يعض قدمى باك الخلفيتين عندما يقع فى أى خطأ . وكان سبيتز القائد للكلاب يتأكد من أن باك يقوم بعمله بشكل سليم . وتعلم باك بسهولة وتحسن أداؤه بسرعة . وتعلم قبل أن يعودوا للمعسكر أن يقف عند سماعه صيحة « هوو ! » ، وينطلق مرة اخرى عند سماعه صيحة « موش ! » ، وأن يسيطر على توازنه عند الالتفات حول النواصى والاركان ، وأن يترك مسافة كافية بينه وبين الكلب الذى خلفه عند هبوط الزحافة المحملة فوق التلال .



باك يجر الزحافة ملجما .

وخاطب فرانسوا بيرولت قائلا :

ــ انها كلاب ممتازة وباك هذا يقوم بالجر بشكل رائع . لقد علمته بسرعة فائقة .

وبعد الظهر ، عاد بيرولت ، الذى كان متعجلا فى رحلته لتوصـــــيل بريده ، ومعه كلبين آخرين ، كان يناديهما باسمى « بللى » و « جو » . وعلى الرغم من أنهما كانا أخوين ، الا أنهما كانا مختلفين اختلاف الليل والنهار . كانت هفوة بللى الوحيدة هى طبيعته الطيبة ، أما جو فكان على العكس تماما ودائم النباح بغضب .

اســـــتقبلهما باك بطريقة ودودة ، بينما ديف لم يلحظهما ، وقاتل سبيتز الكلب الاول ثم الآخر . لم يبد بللى اى رغبة فى القتال ، واستدار وركض ، وصرخ عندما عضه سبيتز بأسنانه الحادة . ولكن عندما كان سبيتز يستدير ، كان جو يواجهه دائما وشعره واقف منتصبا وأذناه مسحوبتان الى الخلف وشفتاه تتحركان فى غضب ، والفم يفتح ويقفل بسرعة مع مظهر شر فى عينيه . كان جو يبدو فظيعا حتى أن سبيتز اضطر أن

يوقف هجومه عليه . ولانقاذ ماء وجهه استدار سبيتز نحو بللى المنتحب وأخذ يطارده بعيداً .

ومع حلول المساء أتى بيرولت بكلب آخر . كان كلبا عجوزا نحيلا فارع الطول ، له وجه به ندبات قتال وعين واحدة . كان يدعى سول — ليكس ومعناها الغاضب ، وكانت الكلاب الاخرى تحترمه . كان يشـــــبه ديف ، لا يطلب شيئا ، لا يعطى شيئا ، لا يتوقع شيئا .. ومشى ببطء لينضم اليهم .. وكانت له عادة غريبة لم يكتشفها باك اسوء حظه . لم يكن يحب أن يقترب منه أحد من ناحية عينه العوراء . وما كان لباك أن يعرف هذا وذهب اليه من تلك الناحية ، فالتف سول — ليكس بغتة نحو باك وانقض عليه وجـــرح كتفه حتى العظم بجرح بلغ طوله ثلاث بوصات من أعلى الى أسفل .. وتجنب باك من بعدها جانبه الأعور ، فلم يقع معه فى أى مشكلة اخرى حتى نهاية صداقتهما . وكانت رغبة سول — ليكس الوحيدة مثل رغبة ديف أن يترك فى حاله . ولكن ، كما عرف باك فيما بعد ، كان لكل منهما رغبة أعظم .

فى تلك الليلة وجد باك صعوبة كبيرة فى أن ينام ..
كانت الخيمة تبدو دافئة فى منتصف المساحة البيضاء .
وعندما دخلها صاح فيه كل من بيرولت وفرانسوا بغضب
وقذفاه بأشياء الى أن ركض خارجا للصقيع الخارجى .
كانت الريح الباردة تهب ، فتقرصـــــه بحدة وتجعله
يتضور ألما من كتفه المجروح . فرقد على الثلج وحاول
أن ينام لكن البرد دفعه للوقوف على أقدامه فى الحال .
وتجول فى يأس بين خيام عديدة ، كانت كل واحدة فى
برودة الاخرى . وكانت الكلاب تندفع نحوه هنا وهناك،
ولكنه كان يكشر عن أنيابه ويزمجر بعنف (لأنه كان
يتعلم بسرعة) ، فكانوا يدعونه يمشى فى حال سبيله .

واخيرا ســـنحت له فكرة . أن يعود ويرى كيف
عالجت الكلاب الاخرى فى المعسكر هذه المشكلة ..
ولدهشته ، لقد اختفوا جميعا وكأن الارض قد انشقت
وابتعلتهم . وتجول مرة أخرى عبر المعسكر الكبير باحثا
عنهم وعاد ثانية . هل كانوا فى الخيمة ؟ كلا ، هذا
لا يمكن ، والا ما كان قد طرد منها . اذن أين هم ؟ ..
ودار حول الخيمة بلا اتجاه معين يهدف اليه وهو يحس

بالبرد وبالتعاسة . وفجاة انهار الثلج تحت قدميـــــه الاماميتين وغاص . وتحرك شىء ما بسرعة تحت قدميه . فقفز متراجعا وهو غاضب يزمجر ، خائفا من المجهول غير المرئى . ولكن صيحة واهنة ودودة ازالت مخاوفه ، وعاد ليتفحص المكان ، فوصلت الى انفه رائحة هواء دافىء . وكان هناك بللى راقدا متكوما تحت الثلج فى تكور دافىء . فنبح بلطف وتحرك ليظهر حسن نواياه ؛ بل حتى لمس وجه باك بلسانه المبتل الدافىء .

لقد تعلم باك درسا آخر . وهكذا كانت الطريقة التى ينامون بها . فاختار باك مكانا وبدأ يحفر على مهل حفرة لنفسه واستقر فيها . وفى لحظات ملأت الحرارة المنبعثة من جسده المكان الصغير ونام . كان اليوم طويلا وشاقا ، لذا خلد فى سبات عميق ومريح ومع ذلك زمجر ونبح وصارع احلاما سيئة .

ولم يفتح عينيه حتى ايقظته ضجة المعسكر . وفى البداية لم يعرف اين كان . لقد تساقط الثلج خــــلال الليل وغطاه تماما . وضغطت جدران الثلج عليه من كل



أخذت الكلاب التسعة تجر الزحافة

جانب وسرى فيه احساس بالخوف عظيم . خوف حيوان بری من أن يقبض عليه . وأصبح جسده كله مشدودا ووقف شعر عنقه وكتفيه منتصبا تماما ، وبزمجرة عنيفة قفز ناهضا الى يوم مجهول ، وتطاير الثلج من حوله فى سحابة بيضاء . وقبل أن ينتصب على أقدامه شاهد المعسكر الابيض ممتدا أمامه وعرف أين كان . وتذكر كل

ما مر به ، منذ أن خرج للتريض مع مانويل مســـــاعد البستانى فى دار القاضى ، الى الحفرة التى قد حفرها لنفسه الليلة السابقة .

حياه فرانسوا بصيحة منه ، **وقال لبيرولت :**

ــ مثلما قلت لك ؟ ان باك يتعلم بسرعة بالتأكيد !

حرك بيرولت رأسه موافقا . وكرجل كان يحمل رسائل مهمة للحكومة الكندية كان يهمه الحصول على أفضل الكلاب ، وكان مسرورا بصفة خاصة لاقتنائه لباك .

وفى غضون ساعة أضيفت ثلاثة كلاب أخرى للفريق .. فأصبحوا تسعة كلاب . وقبل أن تمر ربع ساعة أخرى كانوا يجرون الزحافة تجاه ديا كانون . كان باك سعيدا بالعمل . وبالرغم من أنه كان شاقا الا أنه كان يشعر بالفخر وهو يقوم به . واندهش أن كل الكلاب كانوا شغوفين وأنه هو أيضا يحس بهذا الشغف .. وكان الذى يدهشه أكثر التغير الذى حدث لكل من ديف وسول ــ ليكس . كانا يقظين منهمكين متحمسين لكى

يسير العمل على احسن ما يرام . وكانا يغضبان بعنف لأى شىء يؤخر هذا العمل . وبدا جر الزحافة هو كل العمل الذى يعيشون من أجله والشىء الوحيد الذى يستمتعون به .

كان ديف هو الكلب الاول قرب الزحافة وكان أمامه باك ، ثم يأتى سول — ليكس ، وبقية الكلاب موزعة فى الامام فى صف واحد . كان سبيتز فى المقدمة ، يقود جميع الكلاب .

لقد وضع باك بين ديف وسول — ليكس عن قصد لكى يتعلم الكثير . وكان الكلبان مدرسين جيدين ، فلم يسمحا له اطلاقا بالتمادى فى الخطأ طويلا مستخدمين أســــنانهما الحادة لتدعيم تعليمهما . كان ديف عادلا وحكيما جدا . فلم يعض باك ابدا بدون سبب ، ولم يكن يفشل فى عضه عندما يحتاج ذلك. وكان فرانسوا أيضا يضرب باك عندما يخطىء ، وهكذا أصلح باك من أحواله فورا . وذات مرة ، أثناء وقفة قصيرة ، عندما اقترف باك خطأ ما تسبب فى تأخير الانطلاق ، هب كل

من ديف وسول — ليكس عليه وعضاه ، وقبل انتهاء اليوم كان باك قد تعلم عمله جيدا فتوقف أصدقاؤه عن عضه . ولم يكن فرانسوا يضربه كثيرا ، وحتى بيرولت كان يشرف باك برفع أقدامه لفحصها باهتمام وعناية .

كان العمل شاقا فى ذلك اليوم ، فكانوا يصعدون الى واد ضيق على حافة غابة ، ويعبرون أنهارا من الجليد وضفافا من الثلج عمقها مئات الاقدام . وطافوا بسرعة هابطين سلسلة البحيرات . وفى نهاية تلك الليلة توقفوا عند المعسكر الكبير عند بداية بحيرة بنيت .

وهنا كان آلاف من الباحثين عن الذهب يشيدون المراكب استعدادا لذوبان الجليدفى الربيع . وأقام باك حفرته فى الثلج ونام بسرعة ، ولكنهم سحبوه فى الصباح الباكر فى الظلام البارد ولجموه .

وقطعوا فى ذلك اليوم أربعين ميلا لأن الطريق كان جيدا . ولكن اليوم التالى ولمدة أيام عديدة تالية لم يكن هناك طريق . فكان عليهم أن يعملوا بجهد أكبر ويسيرون

ببطء أكثر . كان بيرولت يسير دائما أمام الكلاب ، ليمهد الطريق وليسهله لهم . وكان فرانسوا ، الذى يرعى الزحافة فى المؤخرة ، يتبادل معه المكان ، ولكن ليس كثيرا . كان بيرولت فى عجلة من أمره ، وكان يتفاخر بمعلوماته عن الجليد . وكانت هذه المعلومات هامة جدا ، لأن بعض هذا الجليد كان هشا جدا . أما حيث تفيض المياه بسرعة فلا يوجد جليد على الاطلاق .



ويوم وراء يوم ، كان باك يعمل بكل جهده فى جر الزحافة . وكانوا دائما يستيقظون فى العتمة ، ومع أول بصيص لضوء النهار كانوا ينطلقون تاركين أميالا جديدة وراءهم . وعادة ما يعســـــكرون بعد حلول الظلام ، ويأكلون قليلا من السمك وينامون فى الثلج . كان باك جائعا دائما ، فالرطل والنصف الذى كان يتناوله من السمك المجفف تحت اشعة الشمس كل يوم كان يبدو مقدارا ضئيلا جدا . ولم يأخذ ما يكفيه مطلقا ، فكان يعانى من آلام الجوع المستمرة . ومع ذلك ، فالكلاب الاخرى ، لانها تزن أقل كانت تأخذ رطلا واحدا من السمك وكانت قادرة على الاحتفاظ بحالة جيدة .

وكان بطيئا فى أكله ، فوجد أصدقاء ينتهون أولا ثم يأكلون طعامه الذى لم ينتهى منه بعد . ولم يكن يستطيع علاج هذه المشكلة . فأثناء محاربته لاثنين أو ثلاثة ، كان الطعام يختفى فى أفواه الآخرين . ولوضع حد لذلك أخذ يأكل بسرعة كما يأكلون . وكان من جوعه يأخذ حتى مالا يخصه . وكان يراقب ويتعلم . وعندما رأى باك ، أحد الكلاب الجديدة ، وكان يدعى بايك ،

يسرق قطعة لحم من وراء بيرولت ، فعل نفس الشيء فى اليوم التالى وفر بعيدا بالقطعة كلها . وحدث هرج ومرج ، ولكن لم يفكر أحد فى أن يكون باك هو اللص . وكلب آخر يدعى ديوب ، الذى كان دائما يقبض عليه متلبسا ، ضرب على هذه الفعلة .

أظهر حادث السرقة الاول هذا أن باك كان قادرا على أن يرعى نفسه فى هذا البلد القاسى غير الودود . وأظهر أنه كان قادرا على أن يغير نفسه ليتلاءم مع الظروف المتغيرة . واذا لم يكن فى استطاعته أن يفعل ذلك ، لمات سريعا . وأظهر الحادث أنه كان يفقد احترامه لأحاسيس الآخرين وللأشياء التى تخصهم . ومن كان يحتفظ بهذا الاحترام فى أرض الشمال فهو أحمق يخسر حياته .

لم يفلسف باك هذا الأمر . كان صالحا للمواءمة لا أكثر . وبدون أن يدرى غير نفسه حتى يتواءم مع طريقة الحياة الجديدة . فطوال حياته لم يفر أبدا من قتال . لقد غرز فيه الرجل ذو الهراوة قانون البرارى .

وقبل ما يحدث ذلك ، كان على استعداد أن يموت فى سبيل الدفاع عن شىء يخص القاضى ميللر . وأصبح قادرا حاليا على أن ينسى كل المشاعر الرقيقة لانقاذ نفسه . لم يكن يسرق للمتعة ولكن لأنه كا نجائعا . لم يكن يسرق صراحة ، لكن سرا لأنه كان يحترم قانون البرارى والاشياء التى كان يفعلها كان لابد أن يفعلها لأن فعلها أسهل من عدم فعلها .

كان تحسنه سريعا .. وأصبح جســـده جامدا كالحديد ، لا يأبه بالألم . وكان يستطيع أن يأكل أى شىء ، لا يهم مدى رداءته . وأصبح حاد البصر والشم بينما سمعه أصبح ممتازا فكان فى نومه يســـمع أقل الاصوات خفوتا ويعلم اذا كانت تجلب السلم أم الخطر . وتعلم أن يقضم الجليد بأسنانه عندما يتجمع فى أطراف أقدامه . وعندما يشعر بالعطش يبحث عن حفر الماء المغطاة بطبقة سميكة من الجليد ويقوم بتحطيمها بالقفز عليها وضربها بقدميه الامامتين .. وكان أفضـــل شىء يستطيع القيام به هو شم الريح والتنبوء بالاتجاه الذى ستهب منه فى اليوم التالى . ولم يكن يهم مقدار سكون

الهواء عندما كان يقوم بحفر مأواه بجانب شجرة أو ركام ، اذ كان دائما آمنا ودافئا عندما تهب الريح فيما بعد .

ولم يتعلم باك عن طريق التجربة فقط ، بل تيقظت ثانية القوى الطبيعية والاحاسيس الخامدة طويلا داخله .. وتذكر شباب أسرته ، عندما كانت الكلاب البرية تجرى راكضة سويا فى قطعان عبر الغابات وتصطاد وهى تجرى . ولم يكن من الصعب عليه أن يتعلم أن يقاتل بأسنانه الحادة بطريقة قتال الذئب . وشـــــعر بالحياة القديمة داخله ، والحيل القديمة للذئاب الاولى . وجاءت اليه هذه الغرائز بشكل طبيعى ، وعندما كان يشير بأنفه نحو النجم فى الليالى الباردة الساكنة ويعوى طويلا مثل الذئب ، فانها كانت الذئاب الاولى نفسها التى ماتت منذ زمن بعيد وكانت تشير بأنوفها نحو النجم وتعوى عبر الأزمان .. فكان عواؤه مثل عوائهم الذى يعبرون به صوتيا عن قلقهم وأسفهم . كانوا يعبرون صوتيا عن معنى السكون والبرد والعتمة .

وهكذا سرت الاغنية القديمة من خلاله وورث نفسه ثانية . لقد جاء لان الرجال قد اكتشفوا معدنا أصفر فى الشمال ، ولان مانويل كان مساعد البستانى وكان لا يحصل على المال الكافى لحاجيات حياته ونفسه .. وبسبب ذلك جاء الى هذه الارض البرية ، وعاد الى حياة هؤلاء الذين عاشوا هنا وقاموا بالصيد فى قطعان منذ مئات السنين . لقد وصل الى عالمه الخاص ثانية .

الفصـــل الثالث

قتـال حتى المـوت

كانت الروح البدائية للحيوان قوية فى باك ، وأخذت تنمو وتنمو تحت الظروف العنيفة لحياته الجديدة . ومع ذلك فقد كانت حيله الجديدة نوعا من القوة .. كان مشغولا تماما بتغيير نفسه ليتواءم مع الحياة الجديدة وليحس بالتحرر من القلق . وكان يتجنب القتال قدر الامكان . وأبدى حرصه دائما ، فلم يقترف اى أمر فى عجلة أو بدون تفكير . ففى الكراهية الشديدة التى بينه وبين سبيتز كان يقاسى كل شىء بدون شكوى ولم يفعل أى شىء يغضبه .

وكون سبيتز رأيه على أن باك يشكل خطرا عليه ، فكان يكشر عن أنيابه فى غضب كلما سنحت له الفرصة .. بل كان يخرج عن طريقه لاخافة باك ، وكثيرا ما

حاول بدء قتال ، بتحرشه المستمر ، ستكون نتيجته الوحيدة موت أحدهما .

وفى نهاية هذا اليوم عسكروا على شاطىء بحيرة كبيرة . فلقد أجبرتهم العتمة والثلج المندفـــع والريح الباترة التى تقطع مثل حد سكين ساخن على البحث عن مكان يعسكرون فيه . وكان يرتفع من خلفهم حائط من الصخر . وكان من الضرورى لبيرولت وفرانسوا ان يصعلا نارهما وينشران ملابســـــهما على جليد البحيرة نفسها . فلقد تركا خيمتهما تضحية منهما مقابل السرعة فى السفر . وأمدتهما بعض عيدان من الخشب بنار لم تدم الا قليلا واختفت فى الجليد .

وهيأ باك مأواه ملاصقا لأسفل الصخرة . وكان دافئا ومريحا لدرجة أنه لم يرغب فى مغادرته عندما قدم له فرانسوا السمك . لكنه عندما انتهى من وجبته وعاد ، وجد مأواه مشغولا . وأدرك من زمجرة غاضبة أنه كان سبيتز . وحتى هذه اللحظة كان باك يتجنب أى مشكلة مع عدوه ، لكن هذا كان أكثر من اللازم .

وصرخت الحيوانية التى فيه . وانقض على سبيتز فى غضب اذهل كليهما ، وخصـــوصا سبيتز الذى كان يعتقد أن باك كلب سهل تخويفه وأنه يستطيع أن يحمى نفسه بسبب وزنه وحجمه الكبير فقط ، ليس الا .

واندهش فرانسوا عندما خرجا سويا كالرصاصة من المأوى وخمن السبب ، **فصرخ فى باك :**

ـــ آه ! .. اعطه له ، بالله ! اعطه له ، هذا اللص القذر !

كان سبيتز يتحرك فى دائرة مهاجما ومتراجعا فى محاولة للحصول على فرصة للانقضاض . وكان باك لا يقل شغفا ولا يقل حرصا ، فهو أيضا يلف ويدور . ولكن عندئذ حدث أمر لم يكن يتوقعه أحد .

صدرت صيحة من بيرولت . وكانت أولى الاشارات قد بدأت بفرقعة هراوية على جســـــد ناتىء العظام وانتهت بصرخة الم حادة . واصبح المعسكر ممتلئا فجأة بكلاب جائعـــــة . كانوا حوالى ثمانين أو مائة



وضربه بالسوط !

وكانوا قد شموا رائحة المعسكر من قرية هندية قريبة . ودخلوا المعسكر خلسة أثناء قتال باك وسبيتز .. وعندما قفز الرجلان وسطهم بالهراوات الثقيلة كشروا عن أنيابهم ودافعوا عن أنفسهم . وأصابتهم رائحة الطعام بالجنون . وعثر بيرولت على واحد منهم ورأسه مدفونة فى صندوق الطعام ، فهبطت هراوته بثقلها على الجسد النحيل ، وانقلب صندوق الطعام على الارض .. وفى لحظة انطلق عشرون من الوحوش الجائعة على الخبز واللحم . ولم يعيروا الهراوات التى تسقط عليهم أى التفات . وأخذوا يصرخون وينبحون تحت الضربات المنهمرة كالمطر ، ولكنهم لم يكفوا عن النضال حتى آخر قطعة خبز .

أثناء حدوث ذلك هب فريق الكلاب المندهشة من جحورها وتلقوا هجوما ضاريا من الزوار الشرسين . لم ير باك كلابا بهذا الشكل من قبل . كان يبدو أن عظامهم سوف تخرج من جلودهم . وبالرغم من هزالهم الا أنهم كانوا مسعورين من الجوع وكانوا فى غاية الفزع . كان من المحال ايقافهم . وتم التحفظ على فريق

الكلاب ومداراتهم مقابل الصخرة . وهوجم باك من كلاب ثلاثة تسببوا له فى جروح فى راسه وكتفيه .

وكان الضجيج مرعبا ، وبللى اخذ يصرخ كالمعتاد .. وكان ديف وسول — ليكس الملطخان بالدماء من جروح عديدة يحاربان ببسالة جنبا الى جنب . وكان جو يهاجم الكلاب كالشـــــيطان . وفى احدى هجماته أطبق بأسنانه على الرجل الامامية لاحد الكلاب حتى وصلت للعظم . أما بايك الكلب الذى يتظاهر بالمرض دائما ، فقفز على الحيوان المجروح وكسر عنقه بحركة خاطفة من أسنانه . وتمكن باك من حنجرة أحد الكلاب، فغطته الدماء عندما غاصت أسنانه فى جلده . وجعله الطعم الدافئ للدم فى فمه أكثر شراسة . فألقى بنفسه على آخر ، وفى نفس الوقت شـــــعر بأسنان تغوص فى حنجرته . واذا به سبيتز الذى هاجمه من الجانب الآخر .

وبعد ما نظف بيرولت وفرانســـوا جزءهم من المعسكر ، أسرعا لانقاذ كلابهما . وركض المهاجمون

الجوعى أمامهم ؛ وهز باك جسده متحررا ، ولكن كان ذلك لهنيهة فقط . واضطر الرجلان أن يركضا عائدين لانقاذ الطعام ، وعادت الكلاب الجوعى لمهاجمة الفريق .. فقفز بللى عبر دائرة الكلاب وركض بعيدا فوق الجليد . وتبعه بايك ودوب مع بقية كلاب المعسكر ، وبينما كان باك يستعد لملاحقتهم ، رأى سبيتز بطرف عينه . كان سبيتز يندفع نحوه بقصد افقاده توازنه وطرحه أرضا . ولو حدث وسقط لكان فريسة تحت جمهرة الكلاب الجائعة ولأصبح فى خبر كان . ولكنه جمع كل قوته وتوقف فى حزم وصلابة . ثم لاحق كلاب الفريق الاخرى عند البحيرة .

واخيرا ، تجمع فريق الكلاب التسعة ســــويا وبحثوا عن مكان آمن فى الغابة . وبالرغم من عدم مطاردتهم ، الا انهم كانوا فى حالة يرثى لها . فكل واحد كان مثخنا بجراح لا تقل عن أربعة أو خمسة ، بينما كانت جراح بعضهم غائرة . وكان ديوب مصابا إصابة شديدة فى ساقه الخلفية . ودوللى ، آخر كلبة أضيفت للفريق كانت مصابة فى الحنجرة ، وجو فقد احـــدى

عينيه ، وبللى الذى تمزقت أذنه ، أخذ يبكى طول الليل .. وعندما عاد ضوء النهار مشـــوا ببطء راجعين للمعسكر . لقد ذهب مهاجموهم واصبح الرجلان فى حنق شديد . لقد فقدوا نصف تموين طعامهم . وقضم المهاجمون حتى اغطية وحبال الزحافة . وفى الحقيقة لم يسلم منهم شيئا ، فلقد اكلوا كل شىء حتى الذى لا يمكن ان يؤكل .

قال فرانســـوا فى رفق ، عندما تفحص كلابه المصابة :

ـــ آه ، يا أصــــدقائى ، ربما ستحولكم هذه الاصابات العديدة الى كلاب مســـعورة . ربما أنتم جميعا كلاب مسعورة بالفعل . ماذا ترى يا بيرولت ؟

هز بيرولت رأسه فى ريبة . فلم يكن يستطيع تحمل الفكرة .. فكرة اصابة كلابه بالسعار ، ومازال أمامه أربعمائة ميل الى داوسن . وبعد جهد ساعتين من العمل كان الفريق المصاب فى طريقه مرة أخرى .. وأخذوا يناضلون فى ألم لقطع أصعب جزء من الرحلة .

كان النهر الذى يبلغ طوله ثلاثين ميلا مكشوفا تماما ، ولم تكن مياهه الهادرة متجمدة . وكان الجليد موجودا فقط فى الاماكن الهادئة بالقرب من الجوانب . كان المطلوب ستة أيام من العمل الشاق لقطع تلك الاميال الثلاثين. وكل خطوة يكسبونها تزيد من خطر فقد حياة كلب أو رجل . فبيرولت ، الذى كان يحاول أن يحدد الطريق ، اخترق جسور الجليد عدة مرات . وكانت تنقذه العصا الطويلة التى يحملها . فكان يمسك بها بطريقة كانت تقع فيها كل مرة عبر الفتحة التى يفتحها بجسده . لكن البرد كان شديدا بالفعل . فكان بيرولت فى كل مرة يسقط فيها فى الجليد يشعل نارا ويجفف ملابسه لكى يظل حيا .

لم يكن يخيف بيرولت شيئا . لأن من يختار أن ينقل بريد الحكومة لا يخيفه شىء . لقد مر على كل انواع الخطر ، كفاح مستمر من أول اطلالة النهار حتى حلول الظلام . كان يمشى حول ضفاف النهر العظيم على الجليد الذى بدأ يتكسر تحت قدمه والذى كان رقيقا لدرجة أنهم لم يتجاسروا على الوقوف . وذات



الصراع بين باك وسبيتز !

مرة نفذت الزحافة عبر الجليد مع ديف وباك واصبح الكلبان شبه متجمدين بل وكادا يغرقان عندما جذبوهما من هذا الموت المحقق . وكانت النار المعتادة شـيئا حتميا لانقاذهما . وكانا مغطيان بطبقة كثيفة من الجليد

.. وعرضهما الرجلان للنار مباشرة وجعلاهما يركضان حولها حتى كادا يحترقان .

وفى مرة أخرى غاص سبيتز ، ساحبا الفريق برمته وراءه . فأخذ باك يســـحب عكس الاتجاه بكل قوته وقدميه الاماميتين على حافة الجليد الذى كان يطقطق فى كل مكان . وكان خلفه ديف الذى كان يشد عكس الاتجاه أيضا ، بينما اخذ فرانسوا من خلف الزحافة يجذبها بكل ما أوتى من قوة .

ومرة أخرى ، تقوض الجليد من أمامهم ومن خلفهم ولم يوجد أى مهرب سوى الصعود الى الصخرة .. وأدهش بيرولت الجميع بتسلقه الصخرة. وربط كل لجام وحبل زحافة فتحولت الى حبل واحد طويل .. ورفعت الكلاب واحدا وراء الآخر الى قمة الصخرة . وصعد فرانسوا فى النهاية بعد الزحافة والاحمال .. ثم بدأ البحث عن مـــــكان للنزول . وهبطوا اخيرا بمساعدة الحبل ، وعاد لهم الليل وهم فوق النهر بعد أن قطعوا ربع ميل فقط .

وبعد أن وصلوا الى جليد متماسك . كان باك قد خارت قواه ، وكذلك بقية الكلاب . لكن بيرولت كان يحثهم ليعوض الوقت الضائع . وقطعوا فى اليوم الاول خمسة وثلاثين ميلا الى نهر السلمون الكبير ، وفى اليوم التالى قطعوا خمسة وثلاثين ميلا اخرى الى نهر السلمون الصغير ، وفى اليوم الثالث قطعوا أربعين ميلا فوصلوا قرب مكان يسمى الاصابع الخمسة .

لم تكن أقدام باك ثابتة وصلبة مثل كثير من الكلاب الاخرى . وكان يمشى طوال اليوم بألم فظيع . وعندما نصبوا المعسكر ، رقد مثل الكلب الميت . وبالرغم من احساسه بجوع شديد ، فلم يتحرك ليحصل على وجبة من السمك ، فما كان من فرانسوا الا أن احضرها له .. واخذ فرانسوا ، ايضا ، يدلك اقدام باك لمدة نصف ساعة كل ليلة بعد العشاء ، واستخدم الجزء العلوى من حذائه الدافىء وصنع منه حذاء لاقدام باك الاربعة .

وكانت هذه راحة عظيمة ، ورقد باك على ظهره محركا اقدامه الأربعة فى الهواء ، ورفض أن يتحرك

بدونها . واخيرا شـــفيت اقدامه والقى الحذاء الذى اهترأ ..

وفى صباح احد الايام ، وهم يستعدون لمواصـــلة الرحيل ، جنت دوللى فجأة . انها لم تلفت انتباه أحد من قبل . واظهرت سعارها بصرخة ذئب طويلة تسحق القلب وملأت كل كلب بالخوف . ثم انقضت مباشرة على باك تريد النيل منه . انه لم ير كلبا يصـــــاب بالسعار من قبل ، وليس لديه أى سبب ليخاف السعار .. لكنه أدرك وجود أمر فظيع ، فلاذ بالفرار .

وسابق الريح وكانت دوللى خلفه بقفزة واحدة . ولم تستطع الاقتراب منه ، الا أن رعبه كان عظيما .. ولكنه لم يستطع ان يتركها ، وكان سعارها فظيعا . وركض عبر الجزيرة حتى نهايتهـــا ، واخترق بعض مناطق الجليد الوعرة الى جزيرة أخرى ، ووصل الى جزيرة ثالثة ، ثم التف عائدا الى النهر الرئيسى وشرع فى عبوره . وطول الوقت ، بالرغممن أنه لم يتطلع خلفه ، كان يستطيع سماع زمجرتها مع ثورة عارمة وراءه مباشرة .

ناداه فرانسوامن على بعد ربع ميل فركض عائدا، ومازالت تقفزة واحدة امامها وتلحقه . كان يضع كل ثقته فى فرانسوا ، آملا أن يستطيع انقاذه . وكان فرانسوا قابضا على فأسه فى وضع استعداد . وعندما مرق منه باك منطلقا ، سقط الفأس على رأس دوللى المسعورة .

رقد باك قبالة الزحافة ، منهك القوى ، محاولا استرداد أنفاسه . وكانت هذه فرصة سبيتز . فقفز فوق باك وانقض بأسنانه عضا فى باك . عندئذ نزل سوط فرانسوا ورأى باك سبيتز وهو يتلقى اســـوأ ضربة سوط يراها .

قال بيرولت :

ـ سبيتز هذا الشيطان ، انه سيقتل باك فى يوم يوم ما .

فقال فرانسوا :

ـ وباك شيطانان . اعرف هذا بكل تأكيد . انى

أراقب باك طول الوقت وأعرف ! أسمع ! فى يوم ما سيغضب باك فعلا ويلتهم سبيتز التهاما هذا أكيد ! وسترى .

ومنذ ذلك الحين دارت الحرب بين سبيتز وباك . وبالرغم من أن سبيتز كان الكلب القائد ورئيس الفريق الا انه كان يشـــعر بالخطر من هذا الكلب الغريب القادم من أرض الجنوب . وبالتأكيد كان باك غريبا عليه ، لقد عرف كثيرا من كلاب أرض الجنوب ولكن ولا كلب منهم أظهر نفسه بأن يكون جديرا باحترامه فى المعسكر وفى الرحلات . كانوا جميعهم لينى العريكة ، كانوا يموتون من العمل الشاق والبرد والجوع . أما باك فكان مختلفا . كان يعانى وحده ولا يشتكى أبدا ، هو الوحيد الذى نجح وأثبت وجوده بقوته ووحشيته كأى كلب آخر . كان باك خطرا لأن الرجل ذا الهراوة اخرج كل الشـــجاعة العمياء من أعماقه . كان باك قادرا بصفة خاصة على خداع الناس وكان قادرا على الانتظار فى هدوء حتى يحصل على ما يريد .

كان النزال من أجل القيادة قادما لا ريب . وهذا ما كان يريده باك . كان يريده لأن هذه هى طبيعته . كان مصابا بالكبرياء التى تجعل الكلاب يناضلون حتى الموت انها الكبرياء التى تقودهم للموت فى بهجة وهم ملجمون فى العمل وتحطم قلوبهم اذا حرموا منها ..

كانت هذه كبرياء ديف وسول — ليكس . انها الكبرياء التى تستحوذ عليهم عندما يتركون المعسكر ، فتحولهم من وحوش غير ودودة الى مخـــلوقات كادة شسوفة . انها الكبرياء التى تجعلهم يركضون طول اليوم وتجعلهم يتساقطون بالليل عندما يقام المعسكر . كانت هذه الكبرياء التى تستحوذ على سبيتز وتجعله يعض كلاب الزحافة الذين يخطئون ويتكاســـلون .. وكانت هذه الكبرياء ، أيضا التى تجعل سبيتز يخشى باك ككلب لديه امكانات القيادة .

لقد وقف أمام سبيتز وفرض حمايته على الكلاب التى وقعت فى أخطاء . وعمل هذا بهدوء وبحزم . وفى احدى الليالى انهمرت ثلوج كثيرة ، وفى الصـــباح لم يظهر بايك الكلب الكســـــول الذى كان يتظاهر دائما

بالمرض . كان بايك مختبئا فى أمان مأواه تحت قدم من الثلج . ونادى فرانسوا عليه وبحث عنه بلا نجاح .. وحول الغضب سبيتز الى كلب متوحش . ركض عبر المعســكر ، يتشمم ويحفر فى كل مكان . وأخذ يزمجر فى ضراوة وعنف الى أن سمع بايك الذى كان نائما فى مرقده .. وهز الركاما لثلجى الذى عليه .

وعندما عثر سبيتز على بايك أخيرا وانطلق نحوه ، انطلق باك بحماس نحو الكلبين . لم يكن هذا متوقعا حتى أن سبيتز تراجع للخلف وفقد توازنه . فما كان من بايك ، الذى كان ينتفض من الخوف ، الا أن يزداد شجاعة ازاء هذا الحدث ويقفز على سبيتز . وقفز باك ايضا على سبيتز . ولكن فرانسوا أحضر سوطه وأنزله بكل قوته على باك . وفشل هذا فى ابعاد باك فقام باستخدام الطرف السميك من السوط . فوقع باك ونزل عليه السوط عدة مرات .

وفى الايام التى تلت ، استمر باك فى مواصلة دفاعه عن الكلاب الاخرى ضد سبيتز . ولكنه كان يفعل هذا

فى السر ، وفى غياب فرانسوا . وبدأت الكلاب الاخرى تفقد احترامها لسبيتز بل وتعصيه أيضا . وظل ديف وسول — ليكس على اخلاصهما ، لكن بقية كلاب الفريق سارت من سيىء الى أسوأ . ولم تسر الأمور على ما يرام . وكثرت المشاجرات المفعمة بالضجيج . وأصبحت المشاكل موجودة دائما وكان باك من ورائها .. وجعل ذلك فرانسوا مشغولا ، لأن فرانسوا كان يعيش حاليا فى خوف من نزال الحياة والموت بين الكلبين . وكان يعرف أن هذا النزال لابد وأن يحدث ان عاجلا أو آجلا . وفى اكثر من ليلة كانت أصوات القتال بين الكلاب الاخرى تجعله يغادر فراشه ، خوفا من أن يكون باك وسبيتز هما اللذان يتقاتلان .

ولكن لم تسنح الفرصة المناسبة ، ووصلوا دارسن بعد ظهر أحد الايام الباردة والقتال لم يقع بعد . وكان هناك كثير من الرجال والكلاب فى داوسن ، ووجدهم باك جميعهم منهمكين فى العمل .. يبدو أن النظام الطبيعى للأمور أن الكلاب لابد أن تعمل .. فكانوا طول اليوم يتأرجحون ذهابا وايابا فى الشارع الرئيسى فى

صفوف طويلة . وكانت أجراســـــهم تجلجل فى الليل ايضا أثناء مرورهم . كانوا يجرون أحمالا من الخشب ويحملون اغراضا صاعدين بها الى المناجم ، ويفعلون كل أنواع العمل التى كانت تقوم بها الجياد فى وادى ســـانتا كلارا .. والتقى باك هنا وهناك بكلاب من الجنوب ، لكن معظم الـــكلاب كانت من نوع الذئب الوحشى . وكانوا كل ليلة يعوون بانتظام فى مواعيد ثابتة فى الساعة التاسعة والثانية عشرة والثالثة . وهى أغنية ليلية غريبة . وكان من سرور باك أن يشترك فيها .

ومع الاضواء الشمالية المنبعثة ببرود وفتور من السماء ، أو النجوم الراقصة ، والارض المتجمدة تحت غطائها الكثيف من الثلج ، كانت اغنية الكلاب هذه تعبر عن معانى ألم الاحياء . كانت أغنية قديمة ، قديمة كالحياة نفسها .. احدى الاغنيات الاولى فى عالم أكثر حداثة وبدائية ، عالم كانت فيه الاغنيات مفعمة بالحزن فأسى آلاف السنين يكمن فى هذه الأغنية ، التى حركت باك بشكل غاية فى الغرابة .. فعندما كان يعوى كان

يعوى بألم الاحياء .. ألم أسلافه السدائيين .. وعندما كان يصيح كان يصيح بالخوف وغموض البرد والظلام .. الخوف والغموض اللذان شعر بهما أســـــلافه الوحشـــــيون منذ زمن طويل . فعندما أحس بذلك الغموض ورفع رأسه وعوى على النجوم ، عاد بذلك عبر الزمن الى بدايات الحياة .

وبعد ذلك بسبعة أيام وصـــــلوا الى دارسن ، وهبطوا ضفافا شديدة الانحدار الى ممر يوكون ومنه الى منطقتى ديا والمياه المالحة . وهناك حمل بيرولت بريدا أكثر أهميـــــة عن البريد الذى قد أحضره الى داوامن . بالاضافة الى أن كبرياء السفر استحوذت عليه ، ونوى أن يقوم بأسرع رحلة فى السنة . وشجعته على ذلك أمور كثيرة . فأسبوع الراحة أعاد الكلاب لنضارتهم مرة أخرى وأصبحوا فى حالة جيدة .. وغدت رحلتهم أسهل . كما قامت السرطة باعداد مخازن للطعام فى أماكن متفرقة لتوفير الطعام للكلاب والرجال ، وعزم بيرولت على الرحيل بلا عتاد كبير يعيقه .

ووصلوا الى مكان اسمه الميل الستون ، أى أنهم ركضوا خمسين ميلا فى اليوم الاول . وفى اليوم الثانى صعدوا مرتفعات يوكون فى طريقهم الى باللى . لكن هذا الجرى الرائع لم يتم بسهولة بالنسبة لفرانسوا الذى كان يواجه مشاكل عديدة فى أداء مهامه . فباك قد دمر روح الفريق . ولم يعد الفريق مترابطا ككلب واحد يجر زحافة . لقد قاد باك الكلاب الى نوع من التمرد فأصبحوا يرتكبون كل أنواع الغلط . فسبيتز لم يعد يرهب جانبه أحد . والخوف والاحترام القديمان لم يعد لهما وجود ، فسرق بايك المتمارض نصف سمكة منه فى أحد الليالى وأكلها تحت حماية باك . وفى ليلة أخرى تمرد دوب وجو على سبيتز وقاتلاه . حتى بللى الطيب تلاشت طيبته . ولم يعد باك يقترب من سبيتز الا ويكشر عن أنيابه ويزمجر فى غضب . فى الحقيقة ، بدأ يستخدم قوته لاخافة سبيتز ويسير الخيلاء فى غدوه ورواحه أمام عينى سبيتز .

وفقدان الاحترام وفقدان النظام جعل الـــــكلاب تتشاجر أكثر فيما بينها . وأصبح المعسكر مليئا بنباحهم

احيانا . أما ديف وسول — ليكس فظلا كما هما لكنهما اصبحا سريعى الغضب بسبب الشـــجار . وأخذ فرانسوا يصيح ويضرب الثلج بأخمص قدميه فى غضب عاجز ويشد فى شعره . وبدأ يضرب الكلاب بالسوط ، ولكن بلا فائدة ملموسة ، فعندما يدير ظهره يعودون للشجار . فساند سبيتز بسوطه ، بينما ساعد باك بقية الفريق . كان فرانسوا يعرف أن باك هو سبب كل المشاكل ، وكان باك يعرف أنه يعرف . لكن باك أصبح شديد الحذق والمهارة حتى لا يضبط متلبسا بما يؤخذ عليه . وكان يعمل باجتهاد لأن العمل اصبح متعة بالنسبة له . لكن الأكثر استمتاعا كان البدء فى القتال وسط أصدقائه .

وفى ليلة بعد العشاء ، عثر دوب على ارنب .. وكان الارنب أسرع فهرب منه . وفى لحظـة شرع الفريق برمته يلاحق الأرنب . وكان يوجد معســكر لشرطة شمال غرب على بعد مائة ياردة به خمسون كلبا فانضموا جميعهم الى الملاحقة . وركض الارنب نحو النهر ومنه انحرف الى خليج صغير . كان يركض

بخفة وكأنه طائر فوق الثلج ، بينما كانت الـــكلاب مضطرة للغوص فى الثلج بسبب قوتها العظيمة . قاد باك المجموعة (الستين كلبا) لكنه لم يستطع الفوز . لقد سابق واستمر فى السباق ، وهو يصرخ بشغف ، وجسده الرائع ينطلق للامام فى نور القمر الابيض .. وكان الأرنب يركض أمامه قفزة بقفزة .



كان باك مفعما بالروح القديمة التى تقود الرجال أحيانا خارج المدن الكبيرة الى الغابات والسهول للصيد والقنص وحب الدم ، والبهجة للقتل .. كا هذا كان باك .. كان يجرى على راس المجموعة مقتنصا الكائن البرى ، اللحم الحى ، عله يقتله بأسنانه ويغسل فمه بالدم الدافىء .

هناك ابتهاج عظيم يعلو فوق قمم الحياة . يأتى هذا الابتهاج عندما يكون الفرد فى أعلى توهجه وحيويته .. ومع ذلك فحقيقة كونه حيويا متوهجا تنسى تماما . ويأتى هذا الابتهاج للفنان الذى ينسى نفسه فيما يقوم به . كما يأتى للجندى الذى يرفض الهروب من معركة خاسرة . وجاء لباك وهو يقود المجمـــوعة ، عاويا كالذئب ، راكضا وراء الطعام الحى والذى هرب أمامه فى نور القمر اللجينى . كان الابتهاج المحض للحياة مستحوذا على باك ، معبرا عن نفسه فى الحركة ، طائرا تحت النجوم وفوق الارض الخامدة من تحته .

ولكن سبيتز البارد والهادىء دائما ترك الفـــريق

واختصر الطريق عبر مضيق من الارض . ولم يدر باك بهذا ، فأثناء جريه خلف الأرنب ، شاهد شبحا آخر أكبر يقفز من ضفة النهر أمام الأرنب . وكان سبيتز . ولم يقدر الأرنب على الانحراف . وعندما حطمت أسنان سبيتز البيضاء ظهر الأرنب فى وسط الهواء ، صرخ عاليا كأى انسان قد يصرخ وهو يموت . وعند ذلك صاح كل فريق الكلاب من خلف باك بصيحة فرح .

ولم يصرخ باك . ولم يوقف نفسه ، لكنه استمر حتى وصل الى سبيتز ، الكتف فى الكتف . وتدحرجا فوق الثلج عدة مرات . وتمكن سبيتز من النهوض على أقدامه وكأنه لم يقع . وعض باك عند الكتف وقفـــز متراجعا . فأطبق أسنانه مرتين مثل فخ من الصلب قبل تراجعه .

وفى لحظـــة عرف باك أن الوقت قد جاء . انها معركة حتى الموت . وأثناء دورانهما مزمجران فى حنق والآذان معقوفة للخلف ، يراقبان كل منهما الآخر فى حرص ، كان باك يشعر أنه يعرف هذا المشهد من قبل

.. وبدا انه يتذكر المشهد برمته .. الغابات البيضاء، الارض الخامدة ، نور القمر اللجينى ، وبهجة المعركة .. وخيم هدوء شبحى فوق البياض والسكون . ولم تبق هناك ادنى حركة للهواء . لا شىء يتحرك حتى ولا نبتة خضراء . وتصاعدت ببطء انفاس الكلاب فى الهواء . لم يكن هذا شيئا جديدا أو غريبا بالنسبة لباك .. كان المنظر آتيا من الزمن القديم . كان وكأنه أمر دائم الوجود ، الطريقة العادية للأمور .

لقد حارب سـبيتز مرات عديدة من قبل . من سبيتز بيرجن الى القطب الشمالى ، وعبر كندا ، ولقد تأمر على كل أنواع الكلاب .. لذلك فقد كان غضبه عنيفا لكنه ليس بغضب اعمى مطلقا . حتى عندما كانت احاسيسه القوية للتمزيق والتدمير تسيطر عليه ، لم يكن ينسى مطلقا ان عدوه يشعر بنفس الشىء . فلم يكن يندفع مطلقا حتى يعد نفسه ليستقبل اندفاعة خصمه . ولم يكن يهاجم مطلقا حتى يكون قد أمن أولا هذا الهجوم .

حاول باك بدون نجاح أن يعض عنق الكلب الابيض الكبير . فعندما كانت أســــنانه الحادة تتجه للاماكن اللينة ، كانت تتقابل مع أسنان سبيتز . فتصــــطدم الاسنان بالاسنان وتتمزق الشفاة ويغطيها الدم ، ولكن باك لم ينجح فى هجماته . واندفع على سبيتز عدة مرات . وكان يحاول فى كل مرة أن ينقض على الحنجرة ثلجية البياض . وكان سبيتز فى كل مرة يجرحه ويبعد . ثم بدأ باك فى الاندفاع نحو الحنجرة . وفجأة سحب رأسه وتصدر بجانبه وضغط بكتفه على كتف سبيتز لطرحه على الارضولكن فى كل مرة كان كتف باك يصاب بجرح لابتعاد سبيتز بخفة .

لم يصب سبيتز بأى جرح ، بينما باك كان مغطى بالدم وأنفاسه سريعةولاهثة . وأخذ الامل يتخلى عن باك . وطوال الوقت كانت الحلقة الذئبية الصــامتة تنتظر الانقضاض على الكلب الذى يسقط من الاثنين . ولما زاد نفس باك ضيقا سرع سبيتز فى الهجوم وأعاق باك عن الوقوف . ولما نجح باك فى الافلات ، جفلت الدائرة المكونة من ستين كلبا برمتها . وقفز باك على

أقدامه فى منتصف الهواء ، فجلست دائرة الكلاب ثانية فى انتظار وترقب .

ان ما يتميز به باك أنه يمتلك أمرا يساعده على الوصول للعظمة .. انه الخيال . كان يحارب بطبيعة الحال بدون تفكير ، لكنه كان يستطيع أن يحارب برأسه أيضا . فهاجم وكأنه يحاول حيلة الكتف القديمة ، لكنه فى اللحظة الاخيرة نزل الى الثلج وغاص فيه . واطبقت أسنانه على ساق سبيتز اليسرى الامامية . وكان هناك صوت عظمة تتكسر ، فواجهه سبيتز بثلاثة أرجل .. وحاول باك أن يطرحه على ظهره ، ثم كرر الخدعة وكسر ساقه اليمنى الامامية . وعلى الرغم من الألم والعجز استمات سبيتز بجنون فى الصمود . ورأى دائرة الكلاب الصامتة ، بعيونها البراقة وألسـنتها المدلاة . رآهم ينقضون عليه كما رأى الدوائر الاخرى تنقض على المحاربين المهزومين فى الماضى . لكن هذه المرة كان هو المهزوم .

لم يكن لديه أمل . ولم يستطع باك ان يتنحى عن المهمة . وكانت الرحمة أمرا مكانه بلاد اكثر رقة .. وجهز نفسه للهجمة الاخيرة . واخذت الدائرة تنغلق حثيثا حتى بدأ يشعر بأنفاس الكلاب على جسده .. وكان فى استطاعته أن يراهم من وراء سبيتز ومن كل جانب ، مستعدين للانقضاض ، وعيونهم مثبتة عليه . وبداشىء ما يوقف كل حركة . ووقف كل حيوان ساكنا وكأنه قد تحول الى حجر . ماعدا سبيتز الذى تحرك محاولا المشى مترنحا ، مزمجرا فى عنف وكأنه يريد أن يخيف الموت . ثم وثب باك مبتعدا تاركا الدائرة الداكنة تتحرك للامام فازدادت انغلاقا بينما اختفى سبيتز من المشهد .

وانتصـــب باك ، القائد الناجح الذى أنهى على ذبيحته ، وشخص ببصره فى ارتياح !

الفصـــــل الرابع

القــائد الجــديد

ــ ايه ؟ ماذا قلت لك ؟ لقد قلت الحقيقة عنـــدما أخبرتك أن باك يفوق الشياطين .

كان هذا ما قاله فرانسوا لبيرولت فىالصباح التالى عندما اكتشف غياب سبيتز وباك المغطى بالجراح .. وسحبه الى النار وبين له جراحه على ضوئها .

وقال بيرولت وهو يتفحص الجـــروح التى تغطى جسد باك :

ــ لقد حارب سبيتز بشراسة شديدة .

فاجاب فرانسوا :

ــ وباك هذا حارب بشراسة أشد . والآن يمكننا أن نسافر أسرع . لم يعد لسبيتز وجود ولا للمشاكل أيضا !

وعندما كان بيرولت يحمل الزحافة كان فرانسوا قد بدأ يلجم الكلاب . ومشى باك للمقدمة حيث مكان سبيتز القديم كقائد . ولكن فرانسوا لم يلحظه واحضر سول ــ ليكس الى المكان فى مقدمة الفريق . ففى حكمه ، كان سول ــ ليكس افضل كلب قيادة باقيا من بعد سبيتز . فانقض باك على سول ــ ليكس فى غضب جامح واعاده للخلف ووقف فى مكانه منتصبا .

فصرخ فرانسوا :

ــ ايه ؟ ايه ؟ انظر الى باك هذا . لقد قتل سبيتز ، ويريد أن يأخذ وظيفته .

ثم صرخ باعلى صوته :

ــ ابتعد يا باك !

ولكن باك رفض أن يتحرك.

قبض فرانسوا على باك من عنقه . وعلى الرغم من أن باك أخذ يزمجر بغضب ، سحبه فرانسوا الى الجانب الايسر واعاد سول ــ ليكس . ولم يعجب هذا

سول — ليكس ، وأبدى صراحة انه يخشى باك ويخاف منه . كان فرانسوا يعنى الاحتفاظ بسول — ليكس فى المقدمة ، لكنه ما أن أدار ظهره الا وأخذ باك مكان سول — ليكس ، الذى كان راغبا تماما فى الابتعاد عن المقدمة .

استشاط فرانسوا غضبا ، وعاد والهراوة الغليظة فى يده ، **وصاح قائلا :**

— وبحق الله سأضعك فى مكانك !

تذكر باك الرجل السمين فى الساحة ومشى عائدا فى تباطؤ . ولم يحاول الهجوم عندما أحضر فرانسوا سول — ليكس للامام مرة أخرى . لكنه استدار ولف من وراء المدى الذى تصل اليه الهراوة ، وأخذ يزمجر فى حنق فظيع . وأثناء دورانه راقب الهراوة حتى يستطيع التحرك بعيدا عنها بسرعة اذا القى بها فرانسوا . لقد أصبح حكيما فى التعامل مع الهراوات .

استمر فرانسوا فى عمله وفى تنفيذ خطته . ونادى على باك عندما فرغ ليضعه فى مكانه القديم أمام ديف .

فتراجع باك عدة خطوات ، فتبعه فرانسوا فعاد وتراجع ثانية . وبعد تكرار ذلك ، القى فرانسوا الهراوة ، معتقدا أن باك يخاف الضرب . لكن باك رفض أن يطيع . وأراد الا يهرب من الضرب وتصـــــدى ليتلقى الضربة ولا يتنازل عن أن يكون قائدا للفريق . وكان هذا من حقه . لقد فاز بالقيادة ولن يرضيه أقل منها .

ساعد بيرولت فرانسوا فى الجرى وراء باك لمدة ساعة تقريبا . وأخذا يلقيان الهراوات عليه .. وكان يبتعد عن طريقها . وأخذا يصيحان عليه ويلعنانه هو وآباءه وأمهاته من قبله . لكن باك أجاب على صياحهما بزمجرات غاضبة وابتعد عن طريقهما . انه لم يحاول الفرار ، لكنه اخذ يدور حول المعسكر . وابدى بكل وضوح أنه سوف يدخل ويكون طيبا عندما يجاب على رغبته فى القيادة .

جلس فرانسوا وحك رأســـه . ونظر بيرولت فى ساعته اخذ يتمتم فى حنق . كان الوقت يطير ، وكان المفروض عليهما أن ينطلقا منذ ساعة مضت . وحك

فرانسوا راسه ثانية ، ثم هزها وابتسم لبيرولت ..
وحرك بيرولت كتفيه بمعنى أنهما قد هزما . ثم ذهب
فرانسوا حيث يقف سول — ليكس ونادى على باك .
وضحك باك ، كما تضحك الكلاب ، الا أنه ظل بعيدا
عنهما ببضع ياردات . وأعاد فرانسوا سول — ليكس
فى مكانه القديم . ووقف الفريق ملجما فى الزحافة صفا
واحدا ، مستعدا للاقلاع . ولم يعد هناك مكان لباك
الا فى المقدمة ومرة أخرى ناداه فرانسوا ، ومرة أخرى
ضحك باك وظل بعيدا .

فأمره بيرولت :

— الق هراوتك !

واسقط فرانسوا الهراوة من يده ورخل باك مكان
القيادة فى مقدمة الفريق . وتم وضع لجامه ، وانطلقت
الزحافة وانطلقوا مسرعين الى النهر المتجمد .

وعلى الرغم من أن فرانسوا كان يقدر باك تقديرا
عظيما فى الماضى ، الا أنه اكتشف أن باك أفضل كثيرا
مما كان يعتقد . وفى الحال ، تحمل باك واجبات القيادة

.. وعند الحـــاجة للحكم والتفكير السريع والتصرف اللحظى كان يثبت وجوده حتى أفضل من سبيتز .

نعم ، كان باك أفضل فى اقامة القانون وجعـــــل الكلاب الاخرى ترتفع لمستواه . لم يهتم ديف ولا سول — ليكس بتغيير القائد . لم يكن هذا من اختصاصهما .. وما كان اختصاصهما الا العمل بكد فى سحب الزحافة . وطالما لا يمسهما باك ، فهما لا يهتمان بما يحدث . وبللى الطيب كان يقوم بما هو منوط به علاوة على أنه كان يحافظ على النظام . وبقية الفريق ، مع أنهم قد خرجوا على النظام أثناء الايام الاخيرة لسبيتز ، أصبحوا فى غاية الدهشة حاليا لأن باك بدأ يجعلهم يعملون بلا كلل .

أما بايك ، الذى يجر خلف باك والذى كان فى الواقع لا يقوم بأى عمل ، كان ينتفض فى عجلة من أمره لكونه كسولا . وقبل نهاية اليوم الاول كان يجر بمزيد من الجهد الذى لم يقم به من قبـــــل . وفى الليلة الاولى بالمعسكر بدأ جو ، غير الصدوق ، يصرخ طالبا الرحمة من جراء ما ناله من عض ، وما كان منبد اك الا أن برك فوقه .

ظهر التحسن على الفريق فى الحال . وعادت الكلاب تركض وكأنها كلب واحد أمام الزحافة . وأضيف بعدها مباشرة كلبان جديدان تيك وكونا . وكانت السرعة التى دربهما بها باك مثار دهشة كبيرة لفرانسوا ، وصاح قائلا :

ـ انا لم أر كلبا مثل باك أبدا ! أبدا ! انه يساوى الف دولار وأكثر ! ايه ؟ ماذا تقول يا بيرولت ؟

ووافق بيرولت . لقد ضرب الرقم القياسى لزمن الرحلة ، وكان يزداد كسبا للوقت يوما بعد يوم .

كانت الارض المغطاة بالثلج فى حالة ممتازة . فهى جامدة صلبة ولا توجد ثلوج متساقطة حديثا . ولم يكن الطقس شديد البرودة . وكان الرجلان يركبان ويركضان بالتناوب بينما ظلت الكلاب تجرى طول الوقت .

كانت هناك كمية كبيرة من الثلج فوق نهر الثلاثين ميلا ، وقطعوا فى يوم واحد نفس المسافة التى كانوا يقطعونها من قبل فى عشرة أيام . وفى طلعة واحدة قطعوا بستين ميلا من نهاية بحيرة لبارج الى منحدرات نهر

هوايت هورس (الفرس الأبيض) . وطاروا بسرعة فوق سبعين ميلا من البحيرات . وفى الليلة الاخيرة للاسبوع الثانى مروا فوق الممر الابيض وهبطوا الى سكاجواى ثم الى البحر .

كانت هذه من الأرقام القياسية أيضا . لقد كانوا يقطعون أربعين ميلا كل يوم لمدة أربعة عشر يوما .. ولمدة ثلاثة أيام تجول بيرولت وفرانسوا فى الشارع الرئيسى لمدينة سكاجواى بارزين صدريهما فى خيلاء .. والكل يدعوهما لتناول الشراب ، وحظى الفريق بانتباه كبير من قائدى الكلاب بالبلدة . ثم تم قتل ثلاثة أو أربعة رجال من الأشرار حاولوا سرقة نقود من البلدة ، فتحول اهتمام الناس من الكلاب الى هؤلاء الرجال . وجاءت بعد ذلك أوامر من الحكومة . فنادى فرانسوا باك ولف ذراعيه حوله ، واخذ يبكى . وكان هذا هو الوداع الاخيرة لفرانسوا وبيرولت مثل رجال آخرين مروا وخرجوا من حياة باك .

وفى صحبة اثنى عشر كلبا آخر اقلع باك عائدا الرحلة الطويلة الى داوسن . ولم يعد جريا خفيفا

حاليا ، ولا ضرب رقم قياسى ، انما عمل قاسى كل يوم مع حمل ثقيل خلفهم . كان هذا هو موكب البريد ، حاملا الأخبار من العالم الى الرجال الباحثين عن الذهب تحت ظلال القطب الشمالى .

لم يكن باك يحب ذلك ، لكنه تحمل عبء العمل بكل مهارة . كان مزهوا فخورا بعمله مثل ديف وسول – ليكس ، وكان يعمل يقينا على أن تقوم الكلاب الأخرى بنصيبها من العمل سواء كانوا فخورين به أم لا .. لم تكن حياة ممتعة على الاطلاق . فكان أى يوم شبيها بالآخر . وفى وقت معين كل صباح يستيقظ الطباخون ، ويشعلون النيران ، ويتم تناول الافطار . وبعد ذلك ، أثناء قيام البعض باعداد كل شىء يمكن أخذه فى الرحلة، يكون آخرون قد لجموا الكلاب . وكانوا ينطلقون قبل الفجر بساعة تقريبا . وفى المساء ، يقام المعسكر .. فيقيم البعض الخيام الصغيرة ، ويقطع البعض الآخر الحطب للنار ، وهناك آخرون يحملون الماء أو الجليد للطبخ . وكانوا ، أيضا ، يطعمون الكلاب . وهذه من

افضل أوقات اليوم بالنسبة للكلاب . وكان من بينهم مقاتلين جبارين .

وفاز باك بالاحترام بعد ثلاث معارك مع أشرسهم . ومن بعدها ، عندما كان يغضب ويكشر عن أنيابه كانوا يبتعدون عن طريقه .

افضل ما كان يحبه باك ان يستلقى قرب النار متطلعا حالما فى الحطب المشتعل . كان يفكر أحيانا فى القاضى ميللر ومنزله الكبير فى وادى سانتا كلارا الذى تقبله الشمس كما كان يفكر فى الكلاب الاخرى . لكنه كثيرا ما كان يتذكر الرجل ذى الهراوة ، وموت كيرلى ، والقتال الكبير مع سبيتز ، والاطعمة الطيبة التى أكلها أو يود أن يأكلها . لم يشعر بالشغف للعودة للبيت مطلقا .. لقد أصبحت الأرض المشمسة خيالا معتما بعيدا . ولم يعد لهذه الذكريات مزيدا من السيطرة عليه . وكان لذكريات عائلته القديمة الموغلة فى القدم سيطرة أكبر بكثير ، كان يبدو على علم بأشياء لم يرها مطلقا من قبل . أحاسيس قديمة أصبحت حية فى أعماقه ثانية .

واحيانا اخرى اثناء رقاده امام النار ، كان يبدو له انه كان ينظر الى نار اخرى . ويبدو أن هناك رجلا مختلفا تماما امامه . هذا الانسان الآخر كانت له ساقان اقصر وذراعان اطول . كان شعر هذا الرجل طويلا ، وكانت رأسه تنحدر للخلف من عينيه مباشرة . وكان هذا الرجل يصدر أصواتا غريبة ويبدو وكأنه خائفا مذعورا من الظلام . كان يتطلع الى الظلام ممسكا فى يده عصا مربوطا فى نهايتها حجرا ثقيلا . وكان يكاد لا يرتدى ملابس ، مجرد جلد خشن محروق كان معلقا على كتفه آنازلا على جزء من ظهره ، لكن جسده كان مغطى بشعر كثيف . وكان الشعر فى بعض الاجزاء عبر صدره وكتفيه وتحت ابطيه وعلى ساقيه كثيفا جدا وملتويا .. لم يكن يقف منتصبا ، فجسده كان محنيا للأمام وساقاه كانتا محنيتين عند الركبتين . كان قادرا أن يقفز مثل القط ، كان يتحرك بسرعة وفى حذر مثل شخص يعيش فى فزع من أشياء ترى ولا ترى .

وفى أوقات أخرى كان هذا الرجل المشعر يجلس بجانب النار وراسه بين ساقيه وينام . وفى مثل هذه

الحالات كانت ذراعاه ترتاحان على ركبتيه ، عاقدا يداه فوق رأسه . وخلف تلك النار ، فى العتمة ، كان باك يستطيع رؤية أزواج عديدة من الجمر المتأجج ، وكان يعرف أنها كانت عيون الحيوانات البرية . وكان يستطيع سماع صوت أجســـادها وهى تتحرك بالقرب منه ، والضجيج الذى يحدثونه فى الليل . وكان يجلس هناك بجانب ضفاف نهر يوكون ناظرا للنار بعينين كسولتين ويحلم بتلك الاصوات والمناظر الخاصة بعالم آخر تجعل الشعر يقف منتصبا على طول ظهره وعبر كتفيه حتى عنقه . وعندما كان يصدر صيحة خافتة أو يزمجر برفق ، كان الطباخ يصيح عليه :

— هاى ، باك ، استيقظ !

فيتلاشى العالم الآخر فى الحال ويعود ليرى العالم الواقعى مرة ثانية . ثم ينهض ويتظاهر بأنه كان نائما .

كانت رحلة شاقة ، فالعمل المرهق فى نقل البريد قد أرهقهم . وكانوا متعبين ، ضـــعفا هزيلين عندما وصلوا داوسن . لابد أن يحصلوا على عشرة أيام

راحة أو اسبوع على الأقل . لكن بعد يومين فى داوسن عادوا منطلقين فوق نهر يوكون ، محملين بالرســـائل للعالم الخارجى . كانت الكلاب متعبة وكان القـــادة دائمى الشكوى ، ولزيادة الطين بلة ، بدأت الثلوج تنهمر كل يوم . معنى هذا أن الأرض المغطاة بالثلج كانت هشة ، فأصبحت أصعب بالنسبة للكلاب فى جر الزحافة . لكن القادة كانوا كيسين دائما بازلين قصارى جهدهم من أجل الحيوانات .

فكل ليلة كانت الكلاب تخدم أولا ، فتأكل قبل أن يأكل القادة. ولا ينام أى رجل قبل أن يتفحص أقدام الكلاب التى يقودها . لكن قواهم بدأت تخور .. فلقد قطعوا منذ بداية الشتاء ألفا وثمانمائة ميلا ، جارين الزحافات طوال الوقت . هذه المسافة تجعل حتى أقوى الكلاب ضعيفة هزيلة .

تحمل باك كل ذلك ، وعمل على أن تقوم الكلاب الاخرى بعملها على الرغم من انه كان مرهقا هو أيضا . كان بللى يعوى كثيرا فى نومه كل ليلة . وأصبح جو

اكثر عداوة عما قبل ، ولم يسمح سول — ليكس لاى أحد أن يقترب منه .

لكن ديف هو الذى كان يعانى أكثر من الجميع . لقد حدث واصيب بشىء ما غير سوى ، اذ أصبح معاديا غير ودود سريع الغضب . وعندما نصبوا المعسكر ، قام فى الحال باقامة مأواه فى المكان الذى يطعمه فيه قائده .. وعندما تحرر من لجامه لم يستطع أن يقف على أقدامه ثانية الى أن استعدوا للاقلاع فى الصباح التالى .. وأحيانا ، عندما كانت الزحافة تغرز فى الثلج كان ديف يصرخ من الألم . وتفحصه القائد ، لكنه لم يستطع أن يكتشف شيئا . واصبح جميع القادة مهتمين بما يحدث له . وتحدثوا عنه أثناء وجبات الطعام وقبل ذهابهم للنوم . وتحدثوا فى احد الليالى طويلا . واحضروا ديف من مأواه الى النار . واخذوا يتفحصونه ويضغطون عليه الى أن صرخ عدة مرات كان مصابا بشىء فى داخله، ولكنهم لم يستطيعوا العثور على عظام مكسورة ، ولم يستطيعوا فهم مرضه .

وأخذ ديف يزداد ضعفا وهزالا بسرعة فكان يسقط مرات عديدة أثناء جره للزحافة . فأخرجوه من الفريق حتى يستطيع الراحة والجرى بحرية وراء الزحافة . ومع أنه كان مريضا ، الا أنه لم يحب أن يخرج من الفريق . وصرخ فى حزن عندما رأى سول — ليكس يوضع فى مكانه هو ، لأنه كان معتزا بعمله ، وعلى الرغم من أنه كان ينازع الموت أو يكاد ، الا أنه لم يتحمل أن يرى كلبا آخر يقوم بعمله .

وعندما أقلعت الزحافة ، كان ديف يصارع فى الثلج الهش بجانب الزحافة ويهاجم سول — ليكس بأسنانه . واندفع نحوه وحاول أن يطرحه على الثلج الهش .. وأخذ يصرخ طوال الوقت من الألم والحزن . وحاول الرجال أن يبعدوه بالسوط . فلم يعبأ ديف بذلك ولم يتحمل الرجال أن يضربوه بشكل موجع . ورفض هو أن يجرى بهدوء خلف الزحافة حيث كان الثلج صلبا فيصبح الجرى سهلا . وبدلا من ذلك ، استمر فى الصراع ملاصقا لسول — ليكس فى الثلج الهش . وأخيرا

سقط ورقد حيث سقط ، صارخا فى تعاسة بينما موكب الزحافة الطويل استمر فى الانطلاق .

فركض بكل ما بقى فيه من قوة فى الخلف الى ان توقف موكب الزحافة ، وجرى أمام الزحافة ووقف فى مكانه فى الصف .

وتوسل بعينيه ان يظل هناك . وتحير القائد .
وقال اصدقاؤه :

يمكن ان يتحطم قلب الكلب اذا لم يسمح له بأداء عمله .

وطالما أن ديف سـيموت لا محالة ، فمن الرحمة ان يموت فى مكانه وسط الفريق أمام الزحافة . لذلك لجموه مرة اخرى . وبالرغم من أنه صرخ أكثر من مرة من الالم الا انه اخذ يجر باعتزاز كما كان فى الماضى . وسقط عدة مرات ، وفى احداها داسته الزحافة وأصابت احدى ارجله .

لكنه نجح فى سحب الزحافة حتى وصلوا المعسكر . وأقام له قائده مكانا بجوار النار ، لكنه لم يستطع فى

الصباح التالى أن يقوم بعمله لخوار قواه . وحاول أن يمشى الى قائده لكنه سقط . ثم تحرك ببطء على معدته نحو الزحافة . فى البداية حرك رجليه الأماميتين وجر جسده عدة بوصات . ثم خارت قواه واستلقى على الثلج . وكان هذا آخر منظر راته عليه الكلاب الاخرى . لكنهم استطاعوا أن يسمعوه وهو يعوى عواء حزينا حتى بعـــــد أن ابتعدوا عن مدى البصر وراء بعض الاشجار .

وهنا توقفت الزحافة . وعاد أحد الرجـــال الى المعسكر الذى قد تركوه . وتوقف الرجال الآخرون عن الحديث . ودوت رصـــاصة فى الفضـــاء . وتحركت الزحافات مرة اخرى . لكن باك عرف ، وكل كلب عرف ما قد حدث وراء الاشجار .. !

الفصـــــل الخامس

رحـلة المـوت

وصل بريد سولت ووتر ، مع باك ورفاقة الذين يجرونه ، الى سكاجواى بعد مغادرة داوسن بثلاثين يوما . كانت الكلاب فى حالة يرثى لها ، اذ كانوا مرهقين .. فوزن باك الذى كان يبلغ المائة واربعين رطلا قد هبط الى مائة وخمســــة عشر رطلا . وبقية رفاقه ، بالرغم من أنهم كانوا اخف وزنا ، الا أنهم فقدوا وزنا أكثر . وبايك الذى كان كثيرا ما يتظاهر بالعرج . أصبح الآن أعرجا بالفعل لاصابة ساقه . ولم يعد سول — ليكس يقدر على المشى بشكل سليم وكان ديوب يعانى من آلام فى كتفه .

كانت أقدامهم جميعا توجعهم . ولم يعودوا قادرين على القفز والجرى كما تعودوا من قبل . وكانت أقدامهم تطأ بثقل على الارض فتهز أبدانهم وتجعل سفر يومهم

متعبا أكثر . لم يكن لديهم أى مشكلة سوى أنهم متعبين مرهقين للغاية .

لم يكن هذا التعب مثل تعب العمل الشاق ، فمن الممكن التحسن من هذا النوع من التعب فى غضـــون ساعات . كان تعبا مميتا يأتى من جراء شهورمن العمل المضنى وفقدان القوة التدريجى . ولم يبق لديهم أية قوة تساعدهم على التحسن .. لقد استنفدوا كل قواهم ، حتى آخر رمق ، فكل جزء من أبدانهم كان متعبا تعبا مميتا . وكان هناك سبب لذلك . ففى أقل من خمسة شهور قطعوا ألفين وخمسمائة ميل . وخلال مســافة الألف وثمانمائة ميل الاخيرة ارتاحوا خمسة أيام فقط . وعندما وصلوا الى سكاجواى كانوا قد وصلوا لنهاية قواهم . وكانوا قادرين بالكاد على جر الزحافة .

وصاح القائد برفق عندما كانوا يهبطون الشـــارع الرئيسى لسكاجواى :

— اركضوا يامتعبين . هذه هى نهاية الرحلة . وسوف نحصل على استراحة طويلة . طويلة جدا .

توقع قادة الزحافات استراحة طويلة . فهم أنفسهم قطعوا ألف ومائتى ميل مع راحـــة يومين فقط ، فهم يستحقون الراحة . لكن اندفاع الرجال الشديد الى كلونديك جعل كميات البريد كبيرة جدا . والرجال لديهم أوامر . أن تحل كلاب جديدة محل الكلاب المتعبة عديمة الفائدة . والقيام ببيع الكلاب عديمة الفائدة هذه .

مرت ثلاثة أيام اكتشف باك ورفاقه فيها كم كانوا متعبين هزيلين . ثم جاء فى صباح اليوم الرابع رجلان اشترياهم بثمن بخس . كان الرجلان يخاطبان بعضهما البعض باسم « هال » و « تشارلز » . كان تشارلز رجلا بين الأربعين والخمسين بعينين رطبتين ضعيفتين وشفة مرتعشة . وكان هال شابا فى التاسعة عشر أو العشرين من عمره . كان معه بندقية كبيرة وسكين صيد معلق فى حـــزامه . وكان هذا الحزام هو أهم شىء بالنســبة له ، وهذا يدل على أنه كان قاســيا عديم الشعور . كان الرجلان غريبين تماما عن المكان . وسبب وجودهما فى الشمال كان من تلك الأسرار التى لا يمكن فهمها .

سمع باك الرجلين يتحاوران ورأى النقود تتداول بينهما . وأدرك عندئذ ان قائدى موكب البريد سيخرجون من حياته مثلما فعل بيرولت وفرانسوا . وعندما وصل باك ورفاقه الى معسكر مالكيهم الجدد ، رأى ان كل شىء كان متسخا وبلا نظام . ورأى أيضا امرأة ، كان الرجلان يدعونها « مرسيدس » . كانت زوجة تشارلز وأخت هال .. فريق عائلى لطيف .

راقبهم باك بخوف ظـــــاهر أثناء شروعهم فى فك الخيمة وتحميل الزحافة . كانوا يعملون بكد واجتهاد لكنهم يؤدون العمل بشكل ردىء . لقد طويت الخيمة بطريقة سيئة جعلتها ثلاثة أضعاف الحجم الذى يجب أن تكون عليه . وجمعت الاطباق الصفيح وهى غير مغسولة . وكانت مرسيدس تتكلم طول الوقت وتحاول أن تســــدى النصح للرجلين . وعندما وضعا حقيبة الملابس فى مقدمة الزحافة ، قالت أنها يجب أن توضع فى المؤخرة . وعندما وضعاها فى المؤخرة ووضعا فوقها حقائب أخرى ، اكتشفت بعدها وجود أغراض أخرى نسيت أن تضعها فى حقيبة الملابس .



كان كل شيء متسخا وبلا نظام !

وجاء ثلاثة رجال من خيمة مجاورة وتطلعوا متبادلين الابتسام فيما بينهم ، **وقال واحد منهم :**

— لديكم حمل زائد ، ولو كنت مكانكم لما أخذت معى هذه الخيمة الثقيلة .

فشوحت مرسيدس بيديها فى انزعاج **وقالت :**

— كيف أسافر بدون خيمة .

فأجاب الرجل :

— الدنيا ربيع ، ولن يقابلك طقس أكثر برودة .

فهزت رأسها فى حزم واصرار . وقام تشارلز وهال بوضع آخر الأمتعة فوق الحمل الكبير .

وسأل أحد الرجال :

— هل تعتقدون أن الزحافة ستتحرك ؟

فتساءل تشارلز بغضب واستنكار :

— ولم لا ؟

فقال الرجل بسرعة :

ـــ أوه ، أنا آسف . كنت أتساءل فقط ، ليس الا . فهى تبدو ثقيلة .

أدار تشارلز ظهره وربط الحبال بأقصى كفاءة يقدر عليها .. لكنها لم تكن بشكل جيد على الاطلاق .

وقال رجل ثان :

ـــ وبطبيعة الحال يمكن للكلاب أن تواصل المشى طول اليوم وهذا الحمل من خلفهم .

فقال هال بأدب متجمد وهو يلوح بسوطه :

ـــ طبعا !

ثم صرخ :

ـــ هيا ... انطلقوا .. !

قفزت الكلاب للأمام ، وجرت بكل قواها لبضعة لحظات ، ثم توقفت . وأصبحت عاجزة عن تحريك الزحافة .

فصرخ ، مستعدا لضربهم بالسوط :

— هذه الحيوانات الكسولة ، سوف أريها !

لكن مرسيدس صاحت فيه ، **وقالت له :**

— أوه ، هال ، لا تضربهم .

وامسكت بالسوط وسحبته منه قائلة :

— الكلاب المساكين ! لابد أن تعدنى الا تكون قاسيا معهم بقية الرحلة .

فضحك اخوها وقال :

— ماذا تعرفين عن الكلاب ؟ أرجوك أن تتركينى لحالى . انهم كسالى . لابد أن تلسعيهم بالسوط ليفعلوا لك ما تريدين . هذه هى طريقة التعامل معهم . اسألى أى شخص .. اسألى أحد هؤلاء الرجال .

تطلعت مرسيدس اليهم ، واظهر وجهها كم كانت تكره منظر الألم .

واجاب احد الرجال :

ـــ انهم ضعاف رخوين كالماء . انهم مرهقين .. هذه هى المسالة . انهم فى حاجة للراحة .

فقال هال :

ـــ لن يحصلوا على راحة .

فتأوهت مرسيدس فى الم واسى . لكنها اندفعت لتدافع عن اخيها ، **وقالت :**

ـــ لا تباليا بما يقول هذا الرجل . انكما تقودان كلابنا ، وعليكما ان تفعلا ما تعتقدانه افضل لهم .

سقط سوط هال فوق الكلاب . فقذفوا بانفسهم للأمام ، وحفـــــروا اقدامهم فى الثلج الجامد ، وكادت اجسامهم تلامس الارض مستخدمين كل قواهم . ولم تتحرك الزحافة قيد أنملة . وبعد جهود أخرى ، وقفت الكلاب ساكنة وهى تتنفس بصعوبة . بدأ هال يستخدم سوطه بعنف وعندها توسلت مرسيدس اليه . ونزلت على ركبتيها امام باك والدموع فى عينيها ، ووضعت ذراعيها حول عنقه ، **وصاحت :**

ـــ أيتها الكلاب المسكينة . لماذا لا تجرين بشكل أشد ؟ حتى لا تضربون !

لم يجبها باك ، لكنه كان مفعما بالتعاسة وليس على استعداد ليعاديها ،

وتكلم أحد الرجال الذين كانوا يشاهدون المنظر ، وكان يحاول الامساك بغضبه لكنه لم يعد يقدر على ذلك :

ـــ أنا لا يهمنى اطلاقا ما يحدث لكم ، لكن يهمنى أمر الكلاب . تستطيعون مســاعدتهم كثيرا لو كسرتم الثلج المحيط بالزحافة . انه يتجمد بسرعة ويتحول الى جليد . القوا بوزنكم عليه واكسروه .

وقاموا بمحاولة أخرى لتحريك الزحافة ، ولكن هال نفذ هذه المرة النصيحة وألقى بكل ثقله على الزحافة . فتحركت الزحافة الثقيلة للأمام ببطء . وناضــل باك ورفاقه تحت وابل ضربات سوط هال . وبعد مائة ياردة انحنى الممر فى انحدار شديد نحو الشارع الرئيسى .. ولا يمكن الا لرجل خبير أن يحافظ على الزحافة الثقيلة

منتصبة فى وضعها العمودى ،و هال لم يكن هذا الرجل . وعندما تأرجحوا عند الانحناءة ، انقلبت الزحافة وتبعثر نصف حملهم . ولم تتوقف الكلاب . فالزحافة أصبحت أخف بكثير وتتحرك على جانبها بسرعة من ورائهم .

أصبحت الكلاب حانقة لأنها قد عوملت بشكل سيىء .. وكان باك فى غاية الغضب بالفعل ، فبدأ يجرى والفريق يتبع قيادته . **وصاح هال :**

ـ قف ! قف !

لكنهم لم يعيروه انتباههم ، فسحبوه من قدميه ، وانزلقت الزحافة من فوقه ، وأسرعت الـــــكلاب فى الشارع ،مسببة ضحكا كثيرا حيث أن بقية الأشـــــياء سقطت من فوق الزحافة على طول الشارع الرئيسى .

أمسك بعض الرجال الطيبين الكلاب وجمعوا كل الأشياء التى سقطت من الزحافة ، وقاموا باســــداء النصيحة أيضا .ف قالوا لهال وتشارلز أن يســــافرا بنصف الحمل وبمضاعفة عدد الكلاب . واستمع هال وأخته وتشارلز لهم كارهين ونصبوا خيمتهم وتفحصوا

حملهم ثانية . ووضعوا جانبا الاطعمة المعلبة ، فتسبب هذا فى ضحك الرجال ، لأن الاطعمة المعلبة فى الشمال هى من الاشياء التى يحلم بها الجميع . **وقال احد الرجال الذى اخذ يساعدهم ويضحك :**

ــ القوا بهذه الخيمة بعيدا ، وبكل هذه الاطباق .. من الذى سيغسلهم ، على أية حال ؟ يا الهى ، هل تظنون أنكم تسافرون فى قطار سكة حديد ؟

وهكذا القوا بكل شىءلم يكونوا فى حاجةماسة اليه. وصرخت مرسيدس عندما وضعوا حقيبة ملابسها على الأرض وأخذوا يلقون بأشيائها واحدا تلو الآخر .. وطوقت ركبتيها بيديها واخذت تهتز للخلف وللأمام كسيرة القلب . وقالت أنها لن تتحرك قيد أنملة . وفى النهاية جففت عينيها وبدأت تلقى حتى بالملابس الضرورية .. وعندما انتهت من ملابسها ، استدارت الى ملابس الرجال وأخذت تلقى بها .

نقص الحمل الآن الى النصف ، لكنه لايزال ثقيلا جدا . وخرج هال مع تشارلز بعد الظهر وأحضرا معهما

ستة كلاب اخرى . وعند اضافتهم ، اصبح الفريق مكونا من أربعة عشر كلبا . لكن الكلاب الجديدة لم تكن كلابا مدربة جيدا . فلم يبدو عليها انها تعرف شيئا . ولم يحبها باك ولا رفاقه . ومع ذلك علمها باك بسرعة مالا يجب أن تفعله ، ولم يستطع تعليمها ما يجب أن تفعله كانت لا تحب جر الزحافة ، وكانت متحيرة خائفة من أرض الشمال الغريبة ومن الطريقة التى تعامل بها .

ومع أن الكلاب الجديدة كانت عديمة الفائدة والفريق القديم كان مستهلكا فى سفر مسافتة الفين وخمسمائة ميل ، كان الرجلان مشرقين متألقين . وكانا فخورين أيضا .. كانا يشعران الآن انهما يسافران بشكل سليم مع أربعة عشر كلبا . لقد شاهدا زحافات أخرى راحلة الى داوسن أو قادمة من داوسن ، لكنهما لم يشاهدا أبدا زحافة بهذا القدر الكبير من الكلاب . لكن هناك سبب يمنع أن تجر أربعة عشر كلبا زحافة واحدة .. فزحافة واحدة لا تستطيع عمل طعام لاربعة عشر كلبا الكلاب ، عددا من الايام . وتطلعت مرسيدس من فوق بالقلم ، مقدار كذا من الطعام لكل كلب ، عدد كذا من

.. يكن تشارلز وهال يعرفان هذا . لقد نفذا الرحلة كتفيهما وحركت رأسها لتبدى أنها فهمت .. كل يبدو بسيطا للغاية .

وفى وقت متأخر من صباح اليوم التالى قاد باك فريق الكلاب صاعدين الشارع . لم تكن فيه حيوية ولا فى زملائه . كانوا يقلعون وهم غاية فى التعب . لقد قطع باك المسافة بين سولت ووتر وداوسن أربع مرات .. ومعرفة أنه يواجه الرحلة نفســـــها مرة أخرى جعلته حانقا . ولم تكن مشاعره فى خدمة عمله ، ولا مشاعر أى كلب .

وشعر باك انهم لا يستطيعون الاعتماد على هذين الرجلين وهذه المرأة ، انهم لا يعرفون كيف يقومون بأى شىء .. ومع مرور الايام ، ظهر جليا ولضحا أنهم لم يستطيعوا التعلم . كانوا مهملين فى كل شىء ، وليس لديهم أى نظام . كانوا يقضون نصف الليلة لاقامة معسكر ، ونصف الصباح لتحميل الزحافة . وكانوا يحملونها دائما بطريقة سيئة جدا ، فيضطرون للوقوف

كثيرا فيما بعد خلال باقى اليوم لترتيب الحمل ثانية . وفى بعض الايام كانوا لا يقطعون حتى عشرة أميال . وفى أيام أخرى لم يكونوا قادرين على مواصلة السير . ولم ينجحوا أبدا فى قطع اكثر من نصف المسافة التى كانوا ينوون قطعها .

وكان من المتوقع أنهم لا يحتفظون بما يكفى من طعام الكلاب ، لكنهم اســاءوا التصرف أكثر باعطاء الكلاب طعاما زائدا خلال المرحلة الاولى من الرحلة . فالكلاب الجديدة كانت جائعة دائما ، وعندما كانت الكلاب القديمة المرهقة تجر بوهن ، كان هال يعطيها مزيدا من الطعام. وكان يضاعف الكمية التى يحصلون عليها كل يوم .. ولم يكن هذا كل شىء . اذ كانت مرسيدس ، والدموع فى عينيها الجميلتين ، تسرق الســمك من أجل الكلاب وتطعمهم سرا . لكنه لم يكن الطعام هو الذى يحتاجه باك ورفاقه . انها الراحة . وعلى الرغم من أنهم كانوا يسافرون بتمهل ، الا أن الحمل الثقيل الذى يجرونه كان يستنزف كل قواهم .

ثم جاء الوقت الذى لا تحصــــل الكلاب فيه على الطعام الكافى .. ففى أحد الايام اكتشف هال أن طعام

الكلاب قد نفد أكثر من نصفه والمسافة التى قطعوها لم تكن الا الربع فقط . ولم يكن فى الامكان الحصول على طعام كلاب بأية حال .. لذلك قلل حتى الكمية العادية وحاول أن يزيد من المسافة التى يقطعونها كل يوم . كان أمرا بسيطا اعطاء الكلاب طعام اقل . لكنه كان من المستحيل اجبار الكلاب على السفر بشكل اسرع .. كما أن فشلهم فى الاقلاع مبكرا فى الصباح منعهم من السفر ساعات أطول . انهم لم يكونوا يعرفون كيف يســوسون الكلاب ولا يعرفون حتى كيف يســوسون أنفسهم .

وكان أول من ذهب هو دوب . فبالرغم من انه كان لصا متواضعا ، والذى كان يضبط متلبسا دائما ، الا أنه كان عاملا مخلصا . وأصبح كتفه المجروح يتحول من سيىء لأسوأ حتى رماه هال ، فى النهاية ، بالرصاص .. وأعطى الطعام المخصص له للكلاب الجديدة ، لكن ذلك كان بعيدا عن كفايتهم . فلم يستطيعوا أن يظلوا أحياء بالكمية الضئيلة المعطاة لهم كل يوم . ومات كل الكلاب الستة واحدا تلو الآخر .

لقد نسى هؤلاء الثلاثة مع الوقت روح بلاد الجنوب اللطيفة . فالسفر القطبى اصبح حقيقة ، وحقيقة مؤلمة بالنسبة لهم .. فكفت مرسيدس عن البكاء على الكلاب لأنها الآن اصبحت مشغولة للغاية بالبكاء على نفسها ، وفى المشاجرة مع زوجها واخيها . كانوا لا يتعبون أبدا من الشجار . فكانت تعاستهم تســـــبب لهم سرعة الغضب مع بعضهم البعض ، وكان غضبهم سببا فى تعاستهم . وهناك روح هادئة مدهشة تأتى لمن يعمل بكد ويكابد بنبل فيظل حلو الكلام عطوفا كريما . هذه الروح الهادئة لم تأت لهذين الرجلين ولا لتلك المرأة . لم يكن لديهم أدنى فكرة عن مثل هذه الروح . كانوا مفعمين بالألم ، فعظامهم توجعهم ، وحتى قلوبهم توجعهم .. ولهذا ، أصبحوا صارمى الحديث ، وكانت الألفاظ القاسية هى اول ما يخرج من بين شفاهم فى الصباح وآخر ما يخرج فى الليل.

كان تشارلز وهال يتشـــــاجران عندما تعطيهما مرسيدس الفرصة . كان كل منهما يعتقد أنه يقوم بعمل أكثر من الآخر . وكانت مرسيدس تتفق أحيانا مع زوجها،

وأحيانا أخر مع أخيها . وكانت النتيجة مشاجرة عائلية طويلة . وكثيرا ما تبدأ المشاجرة بسبب موضوع بسيط مثل قطع بعض الحطب للوقود ثم تتحـــول الى بقية العائلة .. الآباء ، الأمهات ، الأعمام ، أناس بعيدين آلاف الاميال ، وكان بعضهم قد توفاه الله . وكان مما هو يفوق الفهم آراء هال فى الفن ، أو ما فعله عمه ، بأن يكون له أى صلة بقطع بضعة أعواد من الحطب . لكن هكذا تحدث المشـــــاجرة وتشتعل وتظل النار غير مشتعلة ، والمعسكر لم يتم اقامته والكلاب لم تتناول طعامها .

كانت مرسيدس جميلة فاتنة رقيقة وكانا يعاملانها دائما باحترام . لكنها الآن تلقى منهما معاملة لا احترام فيها على الاطلاق ، اذ غدت عقبة لهما ، فهما يشكوان أنها تجعلهما يقاسيان . ولم تعد تهتم بالكلاب ، لأنها أصبحت متعبة . وبدأت تركب على الزحافة كل الوقت . كانت رقيقة جميلة ، لـــــكنها كانت تزن مائة وعشرين رطـــلا .. وهذا كثير لتجره الحيوانات الضـــــعيفة الجائعة . وبعد أيام من ركوبها سقطت الكلاب وتوقفت

الزحافة بلا حراك . وتوسل اليها تشارلز وهال أن تنزل وتمشى ، لكنها كانت تبكى طول الوقت ، وتقول يالهما من رجلين فظيعين .

وفى احدى المرات أنزلوها من الزحافة بالقوة . ولم يفعلاها مرة ثانية ، اذ تركت ساقيها تخوران من تحتها وجلست فى الثلج. وسارا فى طريقهما، لكنها لم تتحرك. وبعدما قطعا ثلاثة أميال ، انتزعوا الاشياء من الزحافة، وعادوا من أجلها ووضعوها على الزحافة ثانية .

وبسبب تعاستهم لم يهتموا بمعاناة الكلاب . كان هال يعتقد أنه يجب على الآخرين أن يتعلموا مواجهة الصعوبات . لقد بدأ باخبار أخته وتشارلز عن اعتقاده هذا وانتهى به الحال بافهام هذا الاعتقاد للكلاب بضربهم بالهراوة .. وفى النهاية نفد طعام الكلاب . والشىء الوحيد الذى استطاع هال الحصول عليه للكلاب كان بضعة أرطال من جلود الجياد .

وخلال كل ذلك كان باك يعانى باستمرار على رأس الفريق كأنه فى حلم كريه . كان يجر بكل ما فى

وسعه من طاقة ، وعندما كان يعجز تماما عن الجر ، يخر متهاويا ويظل مكوما حتى تجبره ضربات من السوط أو الهراوة للوقوف على أقدامه ثانية . لم يعد الشعر الذى يغطى جسده جميلا ، اذ تدلى والتصق مع بعضه بالدم الجاف فى الاماكن التى تسقط عليها هراوة هال . وكان يمكن رؤية كل عظمة فيه بارزة من جلده . كان أمره يحطم القلب ، لكن قلب باك لا يمكن أن يتحطم . لقد أثبت ذلك الرجل السمين فى الساحة .

كان الوضع هو نفسه مع رفاق باك . لقد أصبحوا سبعة كلاب لا اكثر . وفى تعاستهم الكبيرة لم يشعروا بلسعة السوط أو لطمة الهراوة . اذ أن الألم الذى كان يسببه الضرب قد فات أوانه . انهم ليسوا نصف أحياء ولا ربع أحياء . كانوا ببساطة زكائب متعددة من العظام بها أثر باهت للحياة . وعندما كان يسمح لهم بالتوقف ، كانوا يتساقطون أمام الزحافة مثل الكلاب الميتة ويكاد الأثر الباهت للحياة أن يذبل . وعنـــدما تسقط الهراوة أو الســـــوط عليهم يعود أثر الحياة ويكافحون ليقفوا على اقدامهم .

وفى أحد الايام سقط بللى الطيب ولم يستطع القيام . ولم تعد البندقية لدى هال ، لذلك تناول الفأس وضرب بللى على الراس وهو راقد أمام الزحافة .. ثم قطع الجسد الميت للكلب من اللجام وسحبه جانبا . رأى باك ذلك ، ورفاقة رأوه أيضا ، وكانوا يدركون أن هذا الأمر قريب منهم جدا . وفى اليوم التالى غادرهم كلب آخر ، وبقى خمسة منهم فقط .. جو الذى أصبح مرهقا تماما لا يستطيع حتى اظهار عداوته .. وبايك الذى يستطيع بالكاد أن يمشى من وطأة الألم .. وسول — ليكس الأعور ، مازال مخلصا للعمل الشاق لكنه كان حزينا لعدم وجود قوة لديه ليجر بها . وتيك الذى لم يسافر بعيدا ذلك الشتاء والذى كان يضرب حاليا أكثر من الآخرين . وباك ، مازال على رأس الفريق يعميه الضعف نصف الوقت ويلاحق الطريق باحساس أقدامه .

كان طقسا ربيعيا جميلا لكن لا الكلاب ولا الناس كانوا يلاحظونه . فكل يوم كانت الشمس تشرق أبكر وتغرب متأخرة أكثر . فكان ضوء النهار يهل فى الثالثة

صباحا ، ولا يأتى الظلام حتى الساعة التاسعة مساء .. وكانت الشمس تشرق طول اليوم . لقد أفسح سكون الشتاء الطريق لصوت الربيع العظيم للحياة النشطة .. وكان صوت الربيع يشع من كل الارض مفعما بمرح الاحياء . كان ينبعث من الكائنات التى دبت فيها الحياة وتحركت ثانية ، كائنات كانت مثل الكائنات الميتة والتى لم تتحرك خلال الشهور الطويلة للشتاء . وكانت الاوراق الخضراء قد بدأت فى الظهور فوق الاشجار ثانية وهلت كل أنواع المخلوقات الصغيرة فرحة بالشمس المشرقة .

ومن سفوح التلال جاءت موسيقى المياه الجارية . والجليد الذى قيد الارض ، صارت الارض تفلت منه وتفر . وكان يتآكل من تحت ، والشمس تأكله من فوق ، وتتشكل حفر هوائية ، وتتفجر الشقوق فى الجليد وتنتشر ، بينما كثير من الجليد الرقيق يسقط فى كتلة واحدة الى النهر . وفى وسط هذه الحياة المستيقظة كان الرجلان والمرأة مستمرين فى كفاحهم .

ومع الكلاب المتساقطة ، ومرسيدس التى تبكى

وتركب ، وهال الذى يصيح وتشارلز الذى يحلم ببيته فى ارض الجنوب ، دخلوا معسكر جون ثورنتون عند مصب النهر الابيض . وعندما توقفوا ، تساقطت الكلاب وكأنهم جميعا قد أصيبوا بسكتة قلبية . ومسحت مرسيدس عينيها من الدموع وتطلعت الى جون ثورنتون .. وجلس تشارلز على جزء من شجرة ليرتاح ... جلس ببطء شديد . وقام هال بالحديث . كان جون ثورنتون ينهى فأسا كان يصنعه . وأستمع وأنصت وأعطى اجابات بسيطة وكلمات مقتضبة وقليلا من النصائح عندما كان يسأل عنها . كان يعرف أى نوع من الناس هم ، وكان على يقين بأن نصيحته لن تتبع .

قال هال ، بعدما نصحهم ثورنتون الا يعولوا كثيرا على الجليد :

ـ لقد اخبرونا ونحن على الطريق الى هنا أن الجليد فى طريقه للاختفاء وأن أفضل شىء لنا أن نقف لفترة .

ثم استطرد قائلا :

— وقالوا لنا أننا لن نستطيع الوصـــــول للنهر الأبيض ، وها نحن هنا .

فأجاب ثورنتون :

— لقد قالوا لكم الحقيقة . فالجليد قد يتكسر فى أى لحظة . الحمقى فقط هم الذين يحاولون مواصلة السير . أقول لكم صراحة .. أنا شخصيا لن أسير على هذا الجليد مقابل كل ذهب الاسكا .

فقال هال :

ذلك لأنك لست أحمق ، على ما أعتقد . مع ذلك ، سوف نواصل السير الى داوسن .

ورفع سوطه عاليا وصاح :

— هيا انهض هناك ، باك ! انهض هناك !

كان ثورنتون يدرك عدم جدوى محاولة استخدام المنطق مع أحمق .

لكن الفريق لم ينهض عند الأمر . لقد مضى زمن طويل على ضرورة ضرب الفريق حتى يتأهب للاقلاع .

وجز جون ثورنتون على شفتيه . كان سول — ليكس أول من كافح للوقوف على أقدامه ، تلاه تيك ثم جاء جو من بعده ، وهو ينبح من الألم . وحاول بايك أن يقف ، ولكنه سقط مرتين . وفى المحاولة الثالثة نجح فى النهوض . أما باك فلم يبذل أى جهد . اذ رقد فى هدوء حيث سقط . ولسعه السوط عدة مرات ، لكنه لا صرخ ولا قاوم . وتحرك ثورنتون أكثر من مرة ، يريد أن يتكلم ، لكنه غير رأيه . واغرورقت عيناه بينما ضربات السوط مستمرة ، فأخذ يمشى غدوا ورواحا .

كانت هذه هى أول مرة يفشل فيها باك ، وهذا فى حد ذاته كان كافيا ليجعل هال غاضبا . فبدل السوط بالهراوة . ورفض باك أن يتحـــــرك تحت وابل من الضربات الثقيلة التى سقطت عليه الآن . كان مثل رفاقه ، لا يكاد يقدر على النهوض ، وليس مثلهم ، اذ عقد العزم على ألا ينهض . كان لديه احساس بأن حادثا فظيعا سوف يحدث . لقد كان هذا الاحساس قويا عندما كان يجر الزحافة الى ضفة النهر ، ولم يفارقه هذا الاحساس . كان يحس أن هذا الشىء الفظيع قد يحدث هناك فوق الجليد حيث يحاول سيده

أن يسوقه . لقد قاسى بشكل عظيم ولم تعد الضربات تؤلمه كثيرا . واثناء استمرار سـقوطها عليه كانت الذبالة الباهتة للحياة داخله تكاد تنزوى . كان يعرف أنه يضرب ، لكنه كان وكأنه يضرب من بعد ساحق . لقد هجرته الأحاسيس الاخيرة للألم . لم يعد يشعر بأى شىء ، على الرغم من أنه كان يقدر على سماع صوت الهراوة على جسده بشكل ضعيف . لكنه لم يعد جسده ، اذ يبدو بعيدا عنه جدا .

وعندئذ قفز جون ثورنتون ، فجأة ، مصدرا صرخة كانت تشبه صرخة حيوان ، وانقض على الرجل الذى كان يضرب باك بالهراوة الذى ارتمى على ظهره وكأن شجرة انهارت فوقه . فصرخت مرسيدس فى فزع .. وتطلع تشارلز ، مجففا عينيه الرطبتين ، لكنه لم ينهض لمساعدة هال .

وقف جون ثورنتون من فوق باك ، يمنعه حنقه من الكلام . **واخيرا قال :**

— اذا ضربت هذا الكلب ثانية سأقتلك !

فاجاب هال ماسحا الدم من فمه :



اذا ضربت هذا الكلب ثانية سأقتلك !

— انه كلبى ، ابتعد عن طريقى والا انتقمت منك . اننى ذاهب الى داوسن .

وقف ثورنتون بينه وبين باك وابدى أنه لا ينوى الابتعاد . فسحب هال سكينه الطويلة الخاصـــة بالصيد ، فصرخت مرسيدس . وضرب ثورنتون ظهر يد هال بعصا وطرح السكين على الارض . رضرب يديه ثانية عندما حـــاول هال التقاطها . ثم التقطها هو وبسرعة خاطفة قطع لجام باك .

لم يكن لدى هال القوة ولا الروح للقتال أكثر من ذلك . و وقف محتضنا أخته بذراعيه . وكان باك قريبا من الموت ولا يصلح لجر الزحافة ثانية . وبعد بضعة دقائق اقلعوا هابطين الى النهر . وســـــمعهم باك يغادرون ورفع رأسه ليرى . كان بايك هو الذى يقود ثم يأتى من بعده جو ، وتيك وسول — ليكس . كانوا يمشون بصـــــعوبة بالغة . وكانت مرسيدس تركب الزحافة المحملة . وكان هال يقودها وتشارلز يمشى فى المؤخرة .

وأثناء مراقبة باك لهم ، ركع ثورنتون بجانبه ، وبيدين جـــافتين رحيمتين أخـــذ يبحث عن العظام المكسورة . لم يعثر على أى كسر انما عثر على جروح عديدة وحالة من الجوع القارس . وعندما انتهى من الكشف على باك ، كانت الزحافة على بعد ربع ميل . فراقبها الرجل والكلب وهى تتحرك ببطء فوق الجليد وفجأة شاهدا مؤخرتها تغوص الى أسفل وكأنها وقعت داخل حفرة صغيرة . وسمعا مرسيدس تصيح فى رعب وشاهدا تشارلز يستدير ويبدل خطواته للخلف . ثم تهشمت قطعة كبيرة من الجليد واختفت الكلاب والناس .. ولم يريا الا حفرة كبيرة عميقة .

تطلع جون ثورنتون وباك لبعضهما بعضا ، وقال جون ثورنتون :

— يالك من شيطان مسكين !

ولمس باك بلسانه على يد سيده الجديد .

الفصـــــل السادس

من أجـــل الحب

عندما تجمدت أطراف جون ثورنتون خلال الشتاء قبل لقائه بباك مباشرة ، أعد له أصدقاؤه كل شىء وتركوه حتى يعافى . وذهبوا هم أنفسهم صاعدين النهر . كان جون ثورنتون لايزال يمشى بشىء من الصعوبة فى الوقت الذى أنقذ فيه باك ، لكن استمرار الطقس الدافىء أعادت قدميه الى حالتهما الطبيعية بسرعة . وهنا استلقى باك بجانب ضفة النهر طوال أيام الربيع طويلة النهار ، مراقبا المياه الجارية ومنصتا لأغانى الطيور فى تكاسل . وهنا استعاد باك صحته ببطء .

كان الاحساس بالراحة شيئا عظيما بعد سفره ثلاثة آلاف ميل ، وازداد باك كسلا بعض الشىء أثناء اندمال جراحه واستعادته لقوته الجسمانية ثانية ..

فعلا ، كانوا كلهم كســـــالا .. باك وجون ثورنتون وسكيت ونيج ، أثناء انتظارهم المركب الصغيرة الآتية لتحملهم الى داوسن . كانت سكيت كلبة صـــــغيرة اقامت أواصر صداقة مع باك فى الحال . لقد قامت بدور يكاد يشبه دور الطبيب لباك . وكانت مثل القطة التى تنظف صغارها عندما اخذت تنظف جراح باك . وأخذت ترعى باك كل صباح بانتظام ، بعد الانتهاء من افطاره . وكان نيج صديقا محبا ، وهو كلب أسود كبير بعينين ضاحكتين .

ولدهشة باك لم يظهر هذان الكلبان أى عداء نحوه . كانا عطوفين وصـــدوقين مثل جون ثورنتون نفسه . وعندما استرد باك عافيته ، شجعاه لينضم اليهما فى كل انواع الالعاب الســـاذجة ، حتى جون ثورنتون اشـــــترك فى هذه الألعاب . وبهذه الطريقة تحسنت حالة باك مرة أخرى ودخل عالما جديدا . لقد أحس بالحب لأول مرة . انه لم يخبره أو يحس به أبدا عندما كان فى دار القاضى ميللر فى وادى سانتا كلارا الذى تلثمه الشمس . كان هناك احترام وصداقة فقط

بينه وبين القاضى . لكن الله سبحانه قد سخر جون ثورنتون ليخرج هذا الحب الذى كان كامنا فيه ، قويا عارما .

هذا الرجل قد انقذ حياته ، لكنه علاوة على ذلك كان سيدا كامل الأوصاف . الناس الآخرون يعتنون بكلابهم من منطلق شعورهم بالواجب والفائدة المرجوة منهم . أما جون ثورنتون فيعتنى بكلابه وكأنهم أبناؤه ، لأن هذه سجية من سجاياه . ورأى فيه أكثر من ذلك . انه لا ينسى كلمة طيبة أبدا ، وكانت متعة له كما هى لهم أن يجلس ويتحدث معهم طويلا . وكانت له طريقة فى اخذ رأس باك بخشونة بين يديه ، ويريح رأسه هو على رأس باك . وكان يهز باك للخلف وللأمام وهو يسبه ويشتمه وينعته بألفاظ نابية ، التى كانت لها وقع قصائد حب على سمع باك . لم يعرف باك فرحا أعظم من هذا . وعند كل جـــــذبة للخلف وللأمام كان قلبه ينخلع من صدره ، لأن سعادته كانت فائقة . وعندما كان يدعه يذهب ، كان باك يقفز على اقدامه وفمـــه

يضحك ، وعيناه تظهران حبه العظيم وتتحرك حنجرته بأصوات معبرة ، وكان جون ثورنتون يصيح قائلا :

ـــ يا الهى ! انك تكاد تتكلم !

كان باك يعبر عن حبه بطريقة تؤذى .. فكثيرا ما يقبض على يد ثورنتون بفمه ويعضها بشدة حتى أن آثار أسنانه تظل لمدة طويلة بعدها . لكن ثورنتون كان يعرف أن هذا هو تعبيره عن الحب ، مثلما كان باك يفهم أن الكلمات الخشنة التى كان يستخدمها ثورنتون كانت فى الواقع كلمات حب .

وبالرغم من أن باك كان يطير فرحا من السعادة عندما يلمسه ثورنتون أو يتحدث اليه الا أنه لم يكن يتحث عن علامات الحب هذه . ليس مثل سكيت التى عادة ما تدس بأنفها تحت يد ثورنتون ، ولا مثل نيج الذى يريح رأسه الكبير على ركبة ثورنتون ، كان باك سعيدا أن يحب من بعد . كان يستلقى ساعة وراء ساعة عند قدمى ثورنتون متحمسا يقظا . وكان يتطلع فى وجه ثورنتون متحمســـا وملاحقا باهتمام عظيم كل

تعبير وكل حركة أو تغيير فى وجهه . أو يرقد بعيدا مراقبا خيال الرجل الباهت وحركات جسمه . وغالبا ما كانت احسـيسهما متقاربة فكانت قوة عينيى باك عندما تنظران الى جون ثورنتون تتسببان فى ادارة راسه والتفاتته اليه . ثم يتطلع الى باك ، بدون كلام وقلبه يشع من عينيه تماما بمثل ما يشع قلب باك .

ولفترة طويلة ، ظل باك يحب الا يبعد ثورنتون عن بصره . فكان يتبعه منذ لحظة مغادرته للخيمة الى أن يدخلها ثانية . لقد كان فى حوزة ملاك كثيرين منذ أن جاء الى بلاد الشمال وكان فى داخله ذعر عميق أن يهجره أى منهم . كان يخاف أن يخرج ثورنتون من حياته مثل بيرولت وفرانسوا وغيرهما ممن خرجوا من حياته . حتى فى الليل ، فى أحلامه كان هذا الخوف يأتى اليه . وفى مثل تلك الاوقات ، كان يتخلص من النوم ويمشى بهدوء مخترقا البرد متجها الى الخيمة . ويقف هناك ويتصـنت لصـوت سيده حتى يسـمع تنفسه .

لكن بالرغم من أن باك يحب جون ثورنتون بعمق الا أن النداء البرى الذى أيقظته فيه بلاد الشمال ظل حيا . كان مخلصا واحب جون ثورنتون ، لكنه احتفظ ببريته . انه شيء من البرية ، ولقد جاء من البرية ليجلس بجانب نار ثورنتون . وبسبب حبه العظيم لم يستطع أن يسرق من هذا الرجل ، لكنه قد يسرق على الفور من أى رجل آخر ، فى أى معسكر آخر ..

كان وجهه وبدنه مغطيين بآثار أسنان كلاب عديدة وكان يقاتل بنفس العنف الذى اعتـــاد عليه أما نيج وسكيت فكانا طيبين لا يعرفان الشجار .. فكان لا يقاتلهما الى جانب أنهما يخصان جون ثورنتون . لكن الكلب الغريب ، ولا يهم نوعه أن منظره ، فكان يبدى احتراما سريعا لباك والا وجد نفسه فى صراع من اجل الحياة ضد مقاتل رهيب . وكان باك بلا رحمة . لقد تعلم القانون البرى جيدا ، كان يســـــتخدم كل حيلة يعـــــرفها ولا يتقهقر ابدا امام عدو قد شرع فى طريق الموت . لقد تعلم دروسه من سبيتز ، ومن كلاب القتال الرئيسية فى الشرطة والبريد ، وكان يعرف أنه لا توجد

حلول وسط . يجب أن يؤمر أو يأتمر ، واظهار الرحمة ضعف . فلا يوجد شيء مثل الرحمة فى حياة المخلوقات البدائية على الارض . والرحمة تؤخذ خطأ على انها خوف . ومثل هذه الاخطاء تجلب الموت . اقتل والا تقتل ، كل بدلا من أن تؤكل ، هذا هو القانون . وهذا القانون ،الذى قد انحدر عبر العصور من بداية الزمن هو القانون الذى يطيعه باك .

كان باك اكبر من عدد السنين التى عاشها . لقد أوصل الماضى بالحاضر . كان يجلس بجانب النار التى يشعلها ثورنتون كلب عريض الصدر ذو أسنان حادة بيضاء وفراء غنى بالشعر الطويل . لكن فى داخله كانت أرواح كل انواع الكلاب ، أشـــــباه الذئاب والذئاب المتوحشة تنصت معه وتخبره بأصوات الحياة المتوحشة فى الغابة .. كانت هذه الارواح توجه أفعاله بل حتى ترقد لتنام معه عندما يستلقى ، تحلم معه وتساعده على تشكيل أحلامه .

أخذت الارواح تزداد قوة اكثر فأكثر فى داخله ، ولذلك كان عالم الانسان يتحرك مبتعدا عنه كل يوم .

وفى أعماق الغابة هناك نداء يتردد صداه . ومع كثرة سماعه لهذا النداء ، كان يحس باضطراره لادارة ظهره للنار وللأرض المأهولة من حولها . كان يحس بشىء يجذبه لداخل الغابة ، فيجرى ويجرى . لكنه لم يكن يعرف أين يجرى ، أو لماذا . كان النداء يأمره بأن يواصل سيره الى أعماق الغابة . لكن عندما يصل الى الأرض الرخوة والظلال الخضراء ، يجذبه حبه لجون ثورنتون ثانية فيعود حيث النار .

كان ثورنتون وحده الذى يأسره . أما بقية عالم الانسان فأصبح لا شىء بالنسبة له. فقد يمتدحه اناس آخرون أو يربتون عليه ، لكنه كان يقابل ذلك ببرود ، وكثيراً ما يقوم ويبتعد . وعندما وصــل صــديقان من أصــدقاء ثورنتون ، وهما هانز وبيت على الزورق الطويل المتوقع قدومه ، رفض باك الالتفات اليهما حتى علم أنهما صديقين حميمين لثورنتون . وبعد ذلك ، سايرهما ، لكنهه فى نفس الوقت لم يظهر لهما مشاعر حقيقية . كانا من نفس نوع ثورنتون يعيشان مرتبطين بالأرض ، يفكران ببســاطة ويريان بوضوح . وقبل وصول الزورق الى داوسن فهما باك وتصرفاته .

بدا حب باك لثورنتون يزداد ويزداد . كان هو ، وهو وحده من بين ارجال يستطيع وضع أشياء فوق ظهر باك فى سفريات الصيف . فلا يوجد شيء عسير على باك ليقوم به عندما يكون ثورنتون هو الآمر .

وفى أحد الايام كان الرجال والكلاب جالسين على قمة صـــــخرة ، ارتفاعها ثلاثمائة قدم . وكان جون ثورنتون جالسا ملاصـــقا للحافة وباك عند كتفه .. وطرأت لثورنتون فكرة ، وجذب انتباه هانز وبيت لما سيحاوله . **فقال آمرا ، وهو يحرك ذراعه فوق حافة الصخرة :**

وفى اللحظة التالية كان يكافح ليمسك بباك عند آخر طرف الصخرة ، بينما كان هانز وبيت يسحبانهما لمنطقة الامان .

فقال بيت بعدما اطمئن عليهما واستطاعوا تبادل الحديث ثانية :

— انه لأمر عجيب ولا يصدق ! أمر غير طبيعى !

فهز ثورنتون رأسه وقال :

ــ لا ، انه لأمر رائع ، ورهيب فى الوقت نفسه . هل تدرى انه يجعلنى أحيانا خائفا .

فقال بيت اثناء تطلعه الى باك :

ــ انا لا اتجاسر واضع يدى عليك وهو قريب منا .

فاضاف هانز :

ــ ولا انا ، بحق الله !

وتحققت مخاوف بيت قبل انتهاء السنة . كانوا فى مدينة سيركل . وحاول بيرتون الاسود ، وهو رجل شرير حقود ، التشاجر مع رجل فى مشرب عندما تدخل ثورنتون بينهما . كان باك مستلقيا فى الركن ، مراقبا كل ما يفعله سيده . وفجاة انطلقت قبضة بيرتون فى لكمة مباشرة . فترنح ثورنتون لها ومال للخلف لكنه انقذ نفسه من السقوط فى آخر لحظة .

سمع هؤلاء المتطلعون زمجرة عميقة . وشاهدوا

جســـد باك يرتفع فى الهواء أثناء قفزه نحو حنجـــرة بيرتون . وانقذ الرجل حياته أن صدر له ذراعه ، لكن باك طرحه أرضا على البلاط وبرك فوقه . فتوقف باك عن عض الذراع وانقض على حنجرته . ولم يستطع الرجل هذه المرة أن يحمى نفسه من انقضاضة باك فتمزقت رقبته . وتجمع الحشـــد فوق باك ورفعوه بصعوبة . ولكن أثناء فحص الطبيب لحنجرة الرجل ، كان باك يمشى ذهابا وايابا مزمجرا فى غضب ، محاولا الدخول على الرجل ، لكنهم منعوه بالهراوات .

عقد القوم اجتماع رجال المناجم فى الحال ، وقرروا أن الكلب لديه الحق الكافى لمهاجمة الرجل ، وتم اطلاق سراح باك ، لكن بعد ذلك أدرك الجميع قيمة باك هذا ، ومن ذلك اليوم انتشر اسمه عبر كل معسكر فى الاسكا .

وفيما بعد ، وقرب انتهاء السنة أنقذ باك حياة جون ثورنتون بطـــريقة مختلفة تماما . كان الرجال الثلاثة يأخذون زورقا طويلا ضيقا عابرين بعض الجنادل

الخطرة . كان هانز وبيت يتحركان على طول ضـــفة النهر يشدان حبل الزورق الى شجرة ثم أخرى . وظل ثورنتون فى الزورق يساعدهما بعصا طويلة وبصيحات عن تعليمات يوجهها لهما . وظل باك الواقف على الضفة بجانب الزورق يلاحق سيده بعينيه .

وفى مكان سيىء حيث توجد صخور خطرة فى النهر، فك هانز الحبل من احدى الاشجار التى على الشاطىء، بينما حاول ثورنتون أن يحـــــرك الزورق نحو المياه الجارية ، فانزلق هانز من الضفة وفى يده طرف الحبل الذى كان يستعد لربطه فى الشجرة التالية . وبدأ الزورق ينجرف الى أسفل النهر عندما شد هانز الحبل ليخفف من سرعته ، لكنه شده بشكل مفاجىء . فانقلب الزورق وارتطم قاعه بضفة النهر. وبدأ ثورنتون الذى انقلب من الزورق يحمله النهر تجاه أسوأ جزء من الجنادل . وكانت المياه تجرى بسرعة هائلة جامحة لا يستطيع أى سباح أن ينجو منها .

فقفز باك على الفور . وعلى بعد ثلاثمائة ياردة لحق بثورنتون . وعندما شعر به أمسك بذيله ، واتجه

باك مباشرة نحو الضفة ، سابحا بكل قوته الرائعة . لكن العودة تجاه الشاطىء كانت بطيئة اذ سحبهما التيار بسرعة اسفل النهر . وجاء من تحتهما صوت الماء الرهيب الساقط على صخور عديدة فى النهر .. وسحبهما الماء تجاه هذا الجزء الخطر من الجنادل بقوة مخيفة . عرف ثورنتون انه من المستحيل الوصول الى الشاطىء . واصطدم جسده ببعض الصخور . وأمسك بقمة الصخرة الثالثة بكلتا يديه . لم يكن ممسكا بباك الآن واعلى من ضجة الماء صاح قائلا :

— ارجع يا باك ! ارجع !

وانجرف باك اسفل النهر وهو يصارع التيار ولكنه لم يستطع ايقاف نفسه . وعندما سمع أمر ثورنتون مرة ثانية ، رفع عنقه قليلا خارج الماء ، ملقيا براسه لأعلى كأنه ليراه للمرة الاخيرة . ثم استدار نحو الضفة . وسبح بكل قوته العظيمة وسحبه بيت وهانز من النهر قبل أسوأ منطقة مباشرة .

كان بيت وهانز يدركان أن جون ثورنتون يستطيع الامساك بالصخرة اللزجة لدقائق فقط فركضا مسرعين الى مكان عال من الضفة قريبا منه . وربطا حبلا حول عنق باك وكتفيه ووضعاه فى مجرى المياه . بدأ باك يسبح بدون أى خوف . لكنه لم يسبح فى خط مستقيم . واكتشف هذا الخطأ متأخرا ، عندما رأى ثورنتون بعيدا بعدة ياردات . وحملت الميــاه السريعة المتدفقة باك بعيدا بدون السماح له بأى فرصة للانقاذ .

وفى الحال سحب هانز الحبل ، وكأن باك زورقا .. فجذبه الحبــل تحت الماء ، وظل تحت الماء حتى ارتطم جسده فى الضفة ، فرفعاه . وكان شبه غريق . فألقى هانز وبيت نفسيهما فوقه ، وأخذا يخرجا الماء من معدته ويعيدان التنفس اليه . وجاء اليهما صوت ثورنتون الخافت . وبالرغم من انهما لم يميزا كلامه ، الا انهما أدركا انه قريب من الموت . فأشعل صوته فى باك الحمية . فقفز واقفا وركض أمام الرجلين الى المكان الذى وضعا فيه الحبل حول عنقه وكتفيه .

وربطا الحبل ثانية حول باك ووضعوه فى الماء . وبدأ يسبح ثانية ، ولكنه سبح هذه المرة بشكل مستقيم فى مجرى الماء . لقد أخطأ مرة ، لكنه لم يقع فى نفس الخطأ ثانية . وأرخى هانز الحبل . وسبح باك الى أن وصل فوق ثورنتون . ثم نزل اليه . ورآه ثورنتون آتيا .. وعندما ضرب التيار باك من خلفه بكل قوة ، ارتفـــع



محاولة انقاذ ثورنتون .

ثورنتون وأمسك بذراعيه حول عنق باك . ووضع هانز الحبل حول الشجرة . وقام الرجلان بســـــحب باك وثورنتون تحت الماء ، حتى وصلا الى الضفة مقطوعا النفس بعد أن ارتطما بالصخور عدة مرات .



وعندما استيقظ ثورنتون ، كان ممددا ووجهه جهة الارض . وكان هانز وبيت يضـــــغطان على ظهره فى محاولة لاستعادة تنفسه . وأول ما أفاق أبدى قلقه على باك الذى كان نيج يعوى فوق جسده الساكن . وكانت سكيت تحرك لسانها فوق وجهه المبتل وعينيه المغلقتين. كان ثورنتون قد أصيب بشكل سيىء ، لكنه أخذ يتفحص جسد باك بعناية ، ووجد ثلاث عظام مكسورة .

فقال :

ـــ لابد أن نعسكر هنا .

وبالفعل عسكروا هناك ، حتى التأمت عظام باك واصبح قادرا على السفر .

فى ذلك الشتاء ، فى داوسن ، قام باك بعمل مجيد آخر ، جعل اسمه أكثر شهرة أيضا . وكان هذا الأمر مدعاة للسرور بالنسبة للرجال الثلاثة لأنه جعل من الممكن لهم أن يشرعوا فى رحلة ، طالما اشتاقوا اليها .. رحلة للشرق الذى لم تطأه أقدام رجال المناجم الا نادرا . وهذه حكاية العمل المجيد وكيف نشأ .

فى يوم من الايام فى صالون الدورادو كان عدد من الرجال يتبادلون الحديث بفخر عظيم عن أفضل كلابهم . وهاجم هؤلاء الرجال باك بسبب سجله ، وكان ثورنتون حازما فى الدفاع عن باك . وفى نهاية الحديث الذى ظل ما يقرب من نصف ساعة قال أحد الرجال أن كلبه يقدر على تحريك زحافة بها خمسمائة رطل ويسير بها ، وقال رجل آخر أن كلبه يقدر على جر ستمائة رطل ، وثالث ، سبعمائة رطل .

فقال جون ثورنتون :

— هذا شىء بسيط ! باك يستطيع تحريك زحافة عليها الف رطل .

فسأل احد الرجال وكان يدعى ماثيوسون :

— وينتزعها من الجليد ؟ ويمشى بها لمائة ياردة ؟

فقال جون ثورنتون بهدوء :

— وينتزعها من الجليد ويمشى بها مســــافة مائة ياردة .

فقال ماثيوسون ببطء وبوضوح ، حتى يسمعه الجميع :

— شيء جميل . سأعطيك الف دولار اذا فعل .. واذا لم يفعل ستكون مدينا لى بألف دولار . وهذه هى دولاراتى الألف .

واثناء حديثه ألقى بكيس صغير من تراب الذهب فوق المنضدة .

لم يتكلم أحد . انتظروا ليروا اذا كانت ثورنتون يقصد ما قاله فعلا . بدأ ثورنتون يشعر بالدم الدافىء وهو يتصاعد لوجهه . لقد خدعه لسانه ، لقد تكلم بدون تفكير اولى . لم يكن يعرف اذا كان باك يستطيع جر زحافة عليها الف رطل ، أم لا . وأفرغه الوزن الكبير . كان لديه ثقة كبيرة فى قوة باك وكان كثيرا ما يعتقد أنه يستطيع جر مثل هذا الحمل ، لكنه لم يواجه ذلك بشكل فعلى . واستقرت عيون جميع الرجال عليه ، صامتون مترقبون . علاوة على أنه لا يملك الف دولار . لا هو ولا هانز ولا بيت .

وقال ماثيوسون :

— لدى زحافة واقفة بالخارج حاليا وعليها عشرون كيسا من الدقيق زنة كل كيس خمسين رطلا ، هيا . . !

لم يجب ثورنتون . لم يدر ماذا يقول . واخذ ينقل بصره من وجه لآخـــر كرجل فقد قدرة التفكير ويحاول العثور على شيء ليعيده اليه ثانية . فلفت نظره وجه جيم أوبريان ، صديق قديم ، الذى أيقظ فيه أن يفعل ما لم يحلم بفعله أبدا . **ذهب اليه وسأله فى صـــــوت هامس :**

— هل يمكنك أن تقرضنى الف دولار ؟

فأجابه أوبريان ، وهو يضــــع كيسا بجانب كيس ماثيوسون :

— بالتأكيد ، ولكنى لا أثق كثيرا فى أن كلبك يستطيع القيام بالمهمة .

خرجت كل الناس فى الدورادو الى الشارع لرؤية الحدث . ووقف مئات من الرجال حول الزحافة على بعد

ياردات قليلة . كانت زحافة ماثيوسون المحملة بألف رطل من الدقيق واقفة لمدة ساعتين راسخة التجمد فى الثلج الصلب . ولا أحد يصـــــدق أن باك يستطيع تحريك الزحافة . ولقد تسرع ثورنتون فى الأمر .. والآن وهو ينظر الى الزحافة وفريق الكلاب الذى كان جالسا فى الثلج أمامها ظهر له استحالة المهمة . وكان ماثيوسون سعيدا جدا ، **فقال :**

ــ سأضع الفا أخرى ياثورنتون . ما رأيك ؟

كانت ريبة ثورنتون واضحة على وجهه ، لكن روحه القتالية قد تحركت .. الروح القتالية التى تفشل فى رؤية المستحيل ولا تستطيع سماع سوى ضجيج المعركة .. فنادى هانز وبيت وتشاور معهما . واستطاع الرجال الثلاثة أن يجمعوا مائتى دولارا فقط . كان هذا المبلغ هو كل مالديهم ، ومع ذلك وضعوه بدون تفكير .

لقد أبعدوا فريق الكلاب العشرة ، ووضعوا باك بلجامه أمام الزحافة . لقد أصابه الشعور الذى أثار الجمهور ، وأحس انه لابد بشكل ما أن يقوم بعمل عظيم

من أجل جون ثورنتون . كان فى أحسن حالاته .. وزنه مائة وخمسون رطلا .. وجسده يتفجر قوة وحيوية .. وفراؤه يلمع كالحرير .. وبدا الشعر عند العنق وعبر الكتفين يرتفع مع كل حركة وكأن القوة الزائدة تجعل كل شعرة حية مستنفرة . وكان الصـــــدر العظيم وأرجله القوية تناسب فى حجمها هذا الجسد الجبار .

وصاح أحد الرجال :

—أيها السيد ! أيها السيد ! اليك بثمانمائة دولار ثمنا له ، الآن .

— هز ثورنتون راسه وخطا الى جانب باك . **فصـــاح ماثيوسون :**

— يجب أن تقف بعيدا عنه .

وسكت الجمهور . ووافق الكل على أن باك حيوان رائع ، لكن عشرين كيسا زنة خمسون رطلا من الدقيق يبدو حملا ثقيلا جدا .

ركع ثورنتون بجانب باك . وأخذ رأس باك بين

يديه وأراح رأسه على رأس باك . لم يهزه كما تعود معه فى اللعب ، لم يوجه له لعنات الحب الرقيقة . **لكنه همس فى أذنه قائلا :**

ــ مثل حبك لى يا باك .. مثل حبك لى .

كان الجمهور يتطلع فى فضول . لقد أصبح الأمر غامضا . وعند نهوض ثورنتون على قدميه ، أمســك باك بيده فى فمه ، ضاغطا عليها بأسنانه وتركها ببطء وكأنه لا يريد أن يتركها .

كانت طريقة باك فى الاجابة .. طريقة ليســت بالكلام ، ولكن بالحب . وتراجع ثورنتون ، **وقال :**

ــ الآن يا باك !

استعد باك فى لجامه .. ووقف بالطريقة التى تعلم أن يقف بها .

وجلجل صوت ثورنتون فى الصمت العظيم :

ــانطلق !!

تأرجح باك لليمين ، منهيا الحركة فى قفزة للامام . وتوقف بسبب شدة اللجام الفجائية . واهتز الحمل من خلفه . وصـــــعد من تحت الزحافة صوت حاد لتحطم الثلج .

قال ثورنتون آمرا :

— هيا الى اليسار !

كرر باك نفس الحركة ، ولكن هذه المرة نحو اليسار .. فازداد صوت تكسر الثلج وتحركت الزحافة عدة بوصات جانبا . كانت تخرج من حبســـــة الجليد بعد تكسره . وأمسك الرجال بانفاسهم .

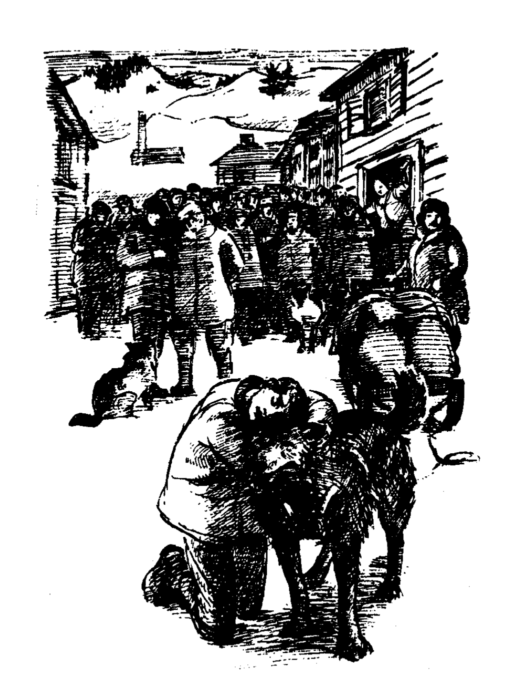
— والآن ، اركض !!

انطلقت صرخة ثورنتون الآمرة فى الجو مثل طلقة مدفع . فألقى باك بنفسه للامام . وتجمع جسده كله فى المجهود العظيم . كان صدره الضخم يكاد يلامس الارض، ورأسه يرتفع للامام ، بينما كانت أقدامه تطير كالمجنون على الثلج الجامد . وتأرجحت الزحافة مائلة قليلا جهة

احد الجانبين ثم اهتزت .. ثم شرعت فى الاتجاه للامام . وضاعت الارض من احد قدميه ، فصرخ احد الرجال .. ثم تحركت الزحافة للامام فى حركات قصيرة وسريعة .. لكنها لم تتوقف ثانية .. نصف بوصة .. بوصة .. بوصتان .. واصبحت الحركات القصيرة السريعة الآن حركة واحدة مستمرة ، وعندما زادت السرعة تحركت الزحافة بأمان .

بدأ الرجال يتنفسون مرة اخرى، لايعرفون أنهم قد توقفوا عن التنفس لحظة . وكان ثورنتون يركض فى الخلف ، صارخا فى سعادة الى باك . لقد تم قياس المسافة . فبينما كان باك يقترب من النار التى اشتعلت كعلامة لنهاية المائة ياردة ، بدأ الصياح يزداد ويزداد . وعندما مر بالنار ووقف حسب أمر ثورنتون ، كان كل رجل منهم يصرخ ويلقى باشـــــياء فى الهواء . حتى ماثيوسون أخذ يهلل . وأخذ الرجال يتصافحون ويتحدثون بصوت عال .

لكن ثورنتون سقط على ركبتيه بجانب باك . الرأس على الرأس ، وكان يهزه للخلف وللامام . وهؤلاء الذين



ثورنتون يريح رأسه على رأس باك

لحقوا به سمعوه يسب باك ، وأخذ يسبه طويلا فى حنان وبحب عظيم .

وصاح الرجل الذى عرض ثمانمائة دولار لشراء باك من قبل قائلا :

ــ سيدى ! سيدى ! سأعطيك الف دولار مقابلا له ، ياسيدى ، ألف ، سـيدى .. ألف ومائتان ، ياسيدى .

نهض ثورنتون على أقدامه . وكانت عينـاه مبتلتين ، كانت الدموع تنهمر على خديه ، **عندما اجاب :**

ــ سـيدى ! لا يا سـيدى ! يمكنك أن تذهب للشيطان ، ياسيدى . هذا افضـل ما أستطيعه من اجلك ، ياسيدى .

أمسك باك بيد ثورنتون بين أسنانه ، وهزه ثورنتون للخلف وللامام وتراجع ، الناس الذين كانوا يشاهدون المنظر لمسافة معقولة احتراما .. هنا كانت صداقة بين انسان وكلب .. صداقة فاقت كل تصور .

الفصل السابع

باك يسمع النداء

عندما فاز باك بهذا المبلغ الكبير فى دقائق معدودة من أجل جون ثورنتون أتاح لسيده الفرصة للقيام برحلة مع صديقيه الى الشرق للبحث عن منجم مفقود . كان تاريخ هذا المنجم قديما قدم البلد .. بحث عنه رجال كثيرون ، وعثر عليه قليل منهم ، والغالبية لم يعودوا أبدا . وكان هذا المنجم المفقود يلفه الغموض . لا أحد يعرف من هو أول من عثر عليه ، وتوقفت القصص المروية عن المنجم قبل يومهم هذا بكثير .

ومنذ البداية كان يوجد هناك كوخ قديم . تحدث عنه رجال ينازعون الموت ، ممسكين فى اياديهم صخور من الذهب المختلف عن كل أنواع الذهب المعروفة فى أرض الشمال .

لكن لا يوجد أحد من الاحياء قد أخذ ذهبا من المنجم والموتى لا يتكلمون . لذلك ، شرع ثورنتون وبيت وهانز ، مع باك وستة كلاب أخرى فى الرحيل ناحية الشرق فى طريق مجهول للنجاح فى عمل شىء ما فشل فى عمله رجال وكلاب آخرون . وقطوا سبعين ميلا صـــــاعدين نهر يوكون ، وانحرفوا الى نهر ستيوارت وظلوا كذلك الى أن أصبح النهر نفسه مجرى صغير بين الجبال .

كان جون ثورنتون يطلب القليل من الانســـــان أو الطبيعة . كان لا يخاف الحياة البرية .. ففى استطاعته أن يصطاد ما يريد أن يأكله عندما يحب وطالما يحب .. ولما كان فى فسحة من الوقت ، أخذ يصطاد طعامه أثناء ترحاله اليومى .. واذا فشل فى العثور على أى طعام ، يواصل الترحال ، وفى ذهنه أنه سيجده ان عاجلا أو آجلا . وهكذا ، تأكل الكلاب والرجال فى هذه الرحلة العظيمة الى الشرق لحوما طازجة .

كانت الرحلة بالنسبة لباك مليئة بسعادة لا نهاية لها . لقد أحب هذا الصـــــيد من طيور وحيـــوانات

واسماك ، واجب التجوال عبر الاماكن الغريبة الغامضة .. واحيانا كثيرة ، ولمدة اسابيع طويلة كانوا يستمرون فى سفرهم من يوم ليوم . ولاسابيع كانوا يعسكرون هنا وهناك وتستلقى الكلاب فى تكاسل ويشعل الرجال حفرا فى الجليد بن بحثهم عن الذهب . وكانوا يجوعون أحيانا ، وأحيانا أخرى يقيمون الولائم كالملوك ، ويرجع ذلك لنجاحهم فى الصيد . وحل الصيف ، وحمل الكلاب والرجال الاحمال على ظهورهم ، وساروا صـــفا عبر بحيرات الجبال الزرقاء ، وهبطوا وصعدوا انهارا غير معروفة فى زوارق ضيقة مقطوعة من جذوع الاشــجار المحيطة بهم .

وهلت شهور وولت شهور ، وهم يسافرون عبر أراض مجهـــولة لم تطئهـــا أقدام بشر .. فاخترقوا جبالا وهبطوا وديانا غائرة دافئة . وبعد الصيف دخلوا أراض غريبة مطلة على احدى البحيرات ، أراض حزينة ساكنة : حيث لا توجد علامة لحياة .. مجرد عصف رياح باردة ، وتشكيل جليد وصـــــوت حزين لامواج متكسرة على الشواطىء .

وهاموا عبر شتاء آخر . وذات مرة ، وجدوا مصادفة دربا قديما عبر الغابة ، وبدا كما لو كان الكوخ المفقود قد أصبح قريبا . ولكن الدرب كان بلا بداية ولا نهاية ، وبقى سرا غامضا . من الذى صنعه ؟ ولماذا صنعه ؟ ومرة أخرى عثروا على جزء من كوخ قديم كان مستخدما فى الصيد . وعثر جون ثورنتون بين بعض الملابس على بندقية قديمة . وكان ذلك كل شىء .. ولا شىء آخر يخبرهم عن الرجل الذى قد بنى الكوخ منذ زمن طويل ، وترك البندقية هناك .

وجاء الربيع مرة أخرى ، وفى نهاية المطـــــاف لم يعثروا مطلقا على الكوخ المفقود . لكنهم وجدوا واديا فسيحا حيث يظهر الذهب مثل الزبد الأصفر فى قاع الانهار . فلم يبحثوا أبعد من ذلك . واخذوا يعملون كل يوم جالبين آلاف الدولارات فى صخور من ذهب وتراب ذهب نظيف . واشتغلوا كل يوم . ووضعوا الذهب فى أكياس متينة ، فى كل كيس خمسين رطلا من الذهب .. ثم وضعوا الاكياس فوق بعضها خارج كوخهم الصغير مثل الحطب وكانوا يعملون كالعمالقة يوما وراء يوم .

لم يكن هناك شىء للكلاب لتفعله ، فيما عدا جر ما بصطاده ثورنتون . فكان باك يقضى ساعات طوال حالما بجوار النار . وكانت صورة الرجل المشعر ذى الساقين القصيرتين تأتى اليه كثيرا ، فهو الآن بلا عمل يقوم به ، وهاهو يحلم بجانب النار متجولا معه فى ذلك العالم الآخر الذى كان يتذكره .

كان يبدو أن الشىء الرئيسى لهذا العالم الآخر هو الخوف . فعندما راقب الرجل المشعر نائما قرب النار، ورأسه بين ركبتيه ويداه معقودتان من فوقهما ، لاحظ أن الرجل كثيرا ما يستيقظ مفزوعا . ثم يتطلع فى الظلام ويلقى بمزيد من الحطب فى النار . وعندما ساروا بجانب شاطىء البحر ، حيث كان الرجل المشعر يجمع القواقع، كان يتطلع فى كل مكان خوفا من اى خطر داهم وكان مستعدا للجرى مثل الريح عند أول علامة خطـــــر .. وساروا فى صمت عبر الغابة ، وباك فى أعقاب الرجل المشعر . كلاهما كان مستعدا دائما لاول علامة خطر ، لان الرجل كان يستطيع أن يسمع ويشم مثل باك تماما. وكان الرجل المشعر يستطيع القفز الى الاشجار ويقطع

المسافات كما يقطعها على الارض ، محركا ذراعيه من فرع لآخر . وفى الحقيقة ، كان يبدو على حريته بين الاشجار كما هو على الارض . وكان لدى باك ذكريات عن الليالى التى كان ينام فيها الرجل المشعر فى الاشجار .

كان النداء السرى قريبا من هذه الصور الخاصة بالرجل المشعر . وكان يسبب لباك شعور لذيذا مفعما بالبهجة وكانت تحركه رغبات غريبة. فكان احيانا يلاحق النداء فى الغابة ، باحثا عنه وكأنه شيئا ما يمكنه لمسه . كان يضع انفه فى التربة السوداء حيث تنمو الاعشاب الطويلة وينبح بالفرح عندما يشم رائحة الارض المنفاذة .. او يجلس لساعات ، مختبأ وراء اشجار ساقطة ، متيقظا لكل ما يتحرك ويصدر صوتا من حوله . ربما بهذه الطريقة كان يأمل أن يستوعب هذا النداء العجيب الذى لم يستطع فهمه . لكنه لم يكن يعرف لماذا كان يفعل هذه الاشياء المختلفة شىء ما يجعله يقوم بها ولا يجد مبررا لذلك على الاطلاق .

كانت تتملكه أحاسيس ورغبات قوية . فكان يستلقى فى المعسكر حالما بكسل فى حرارة النهار ، عندما ترتفع رأســـه فجأة وتقف أذناه . فيهب واقفا على أقدامه ويركض ، ويظل راكضا لساعات ، عبر الغابة ومخترقا فيافيها المكشوفة . كان يحب أن يركض فوق قيعان الانهار الجافة ، وأن يمشى فى هدوء ويراقب حياة الطيور فى الغابات . وأحيانا يستلقى نهارا كاملا فى العشب الطويل حيث يستطيع مراقبة الطيور الجارحة. لكنه كان يحب بصفة خاصة أن يجرى فى الضوء المعتم لليالى الصيف ، منصتا للهمسات الرقيقة للغابة النائمة ، قارئا العلامات والاصوات مثلما يقرأ الانسان كتابا ، وباحثا عن الشيء الغامض الذى ينادى .. وينادى عليه ليأتى مستيقظا أو نائما ، فى كل الاوقات .

وفى احـــدى الليالى قفز من نومه فجأة فلقد جاء النداء من الغابة (أو نغمة واحدة منه ، لأن النداء له نغمات عديدة) .. كان النداء واضحا بطريقة لم تحدث من قبل .. كان عواء طويلا . كان عواء يشبه ، وفى نفس الوقت لا يشبه أى صوت يصدر من كلب .. وكان

باك يعرفه كصوت قد سمعه من قبل . فقفز عبر المعسكر النائم وركض فى صمت عبر الغابات .. وعندما اقترب من النداء سار ببطء أكثر ، متحركا فى حذر شديد ، الى أن جاء الى مكان مكشوف بين الاشجار . وعند تطلعه رأى ذئبا نحيلا ، طويلا ، واقفا فى اعتدال شديد بأنف موجه نحو السماء .

لم يصدر أى صوت ، ومع ذلك توقف الذئب عن العواء ، وحاول أن يكتشف مكانه . مشى باك فى الارض العراء ، وجسده شبه محنى وكان منكمشا على نفسه ، وذيله مستقيما ، وكان يضع أقدامه على الارض فى عناية كبيرة . وكانت كل حركة تظهر خليطا غريبا من قوة غاضبة ورغبة صداقة . لكن الذئب فر عند رؤيته .. فلاحق الذئب ، وهو يقفز فى وحشية ، وبرغبة عظيمة فى ادراكه . وأجبر باك الذئب فى الولوج الى وادى صغير حيث توجد أشجار عديدة ساقطة ، التى أوقفته وأعاقته عن الهرب . فاستدار وزمجر فى عنف وكشر عن أنيابه .

لم يقم باك بالهجوم ، لكنه طاف بالذئب وحام حوله وقام بعروض للصداقة أو التفاهم . ولم يثق الذئب فى باك وكان خائفا . فباك يزن ثلاثة أضعاف الذئب ، بينما كان راس الذئب يصل لكتف باك فقط . وركض الذئب مبتعدا عندما سنحت الفرصة ، فلاحقه باك مرة أخرى . ومرة أخرى وقع الذئب فى الأسر لأنه كان فى حالة سيئة. أخذ يركض حتى أصبح رأس باك فى جانبه . ثم استدار مستعدا للقتال أو الهرب ثانية فى أول فرصة .

لكن باك نجح فى النهاية ، لأن الذئب وجد أن الأذية لم تكن مقنودة ، فوضع أنفه ملاصقا لأنف باك . ثم أصبحا صديقين ولعبا سويا . وبعد فترة شرع الذئب فى ركض سهل بطريقة تظهر بوضوح أنه كان ذاهبا الى مكان ما . وأوضح لباك أنه يريده أن يأتى معه . وهكذا ركضا جنبا الى جنب عبر الضوء المعتم ، وفى استقامة فوق قاع النهر الجاف تجاه سفوح الجبال .

ثم هبطا الى أراض مسطحة حيث توجد مساحات متواصلة من الغابة وعديد من مجارى المياه . وعبر هذه

المساحات المتواصلة اخذا يركضان ساعة وراء ساعة .
وارتفعت الشمس وازدادت ارتفاعا وازداد النهار دفئا.
وغمرت باك سعادة جامحة . فهو يعرف أنه يستجيب
اخيرا للنداء ، وهو راكض بجانب اخيه تجاه المكان الذى
يأتى منه النداء . وكانت الذكريات تأتى اليه سراعا ،
وكان يتأثر كما كان يتأثر بها فى أحلامه . لكن هذه المرة
لم يكن حالما. فكل شيء حقيقى وواقعى . لقد فعل
هذا الشيء من قبل ، فى مكان ما فى ذلك العالم الآخر
المشوش فى ذاكرته . وهاهو يفعله مرة أخرى الآن ،
راكضا بحرية فى العراء ، والارض غير المطروقة تحت
أقدامه والسماء الممتدة فوق راسه .

وقفا بجانب نهر صغير ليشربا ، وفجأة تذكر باك
جون ثورنتون ، فجلس . وشرع الذئب فى الذهاب تجاه
المكان الذى منه يأتى النداء ، ثم عاد اليه ، ووضع أنفه
فى أنف باك وحـــــاول ان يحث باك ليتبعه . لكن باك
استدار وبدأ يعود ببطء . ولمدة ساعة ركض الأخ البرى
بجانبه عاويا برقة . ثم جلس ورفع أنفه الى السماء ،
وأخذ يعوى . كان عواء حزينا . وعندما استمر باك

عائدا فى طريقه الى جون ثورنتون ، سمع العواء يخفت ويخفت الى أن اختفى فى الآفاق .

كان جون ثورنتون يتناول عشاءه عندما دخل باك المعسكر راكضا وقفز نحوه ، والقاه أرضا وأخذ يعض يدى . وبينما كان باك يبدى حبه العظيم لسيده ، هز جون ثورنتون باك للخلف وللامام ولعنه فى حب .

ولمدة يومين لم يترك باك المعسكر ليلا ولا نهارا ولم يدع ثورنتون يبعد عن نظره أبدا . فتبعه كظله ، فى عمله ، يراقبه عندما يأكل ، يشيعه لفراشه فى الليل ويستقبله عندما يستيقظ فى الصباح . ولكن بعد يومين بدأ النداء فى الغابة يتردد بقوة اكثر من قبل . لم يستطع باك نسيان اخيه البرى ، والجرى جنبا الى جنب عبر مساحات الغابة الفسيحة .

وعاد مرة اخرى للتجول فى الغابات ، لكن أخاه البرى لم يأت . وعلى الرغم من انصاته عبر ليال طويلة، الا ان النباح الحزين لم يصله أبدا .

بدأ باك ينام خارجا بالليل ، وأحيانا يظل بعيدا عن المعسكر لمدة أيام . وذات مرة هبط الى أرض الغابة ذات الفيافى الفسيحة وجداول المياه العديدة . واخذ يتجول هناك لمدة اسبوع ، باحثا بلا نجاح عن علامات جديدة لأخيه البرى . وكان يقتنص ما يأكل من لحوم أثناء سفره وتجواله ولم يبد عليه التعب اطلاقا . وذات مرة كان يصطاد السمك فى جدول ماء واسع ، فقتل دبا أسود كبير كان يجرى فى شراسة عبر الغابة عاجزا حيث أن الحشرات قد أعمته ولم يعد يرى طريقه .

وكان قتالا قاسيا . وبعد ذلك بيومين ، عندما عاد للدب الميت وجد عددا من الحيوانات الصغيرة تتشاجر عليه . فأفزعهم بشكل كبير حتى أنهم فروا كالريح .. لكنهم تركوا وراءهم اثنين عاجزين عن الشجار .

أصبحت رغبته فى الدم أقوى من قبل . لقد أصبح قاتلا ، كائن يقتل ليأكل ، ويعيش على الكائنات الحية ، كان يقتل بمفرده ، بدون مساعدة ، بقوته وحدها ، عائشا فى أرض لا يعيش فيها الا الاقوياء . وبسبب كل هذا ، بدأ يختزن الكبرياء فى نفسه . وكان يظهر ذلك فى

كل حركاته وفى الطريقة التى يمشى بها . ولولا اللون البنى فوق أنفه وفوق عينيه ، وقطعة الشعر الابيض التى تجرى هابطة وسط صدره لبدا وكأنه ذئب ضخم .. لقد أعطاه أباه الذى كان من نوع ســـــانت برنارد الحجم والوزن ، ولكن أمه التى كانت من كلاب الرعى هى التى أعطت الشكل لهذا الحجم والوزن . كان رأسه مثل رأس الذئب الا أنه أكبر رأعرض .

كان باك يفكر مثل ذئب ولقد حنكته تجربته فى أشرس الظروف وأشدها قسوة ، وكل هذا جعله مخلوقا مرعبا من بين المخلوقات الهائمة عبر البرارى. كان باك حيوانا يعيش فقط على اللحوم ، وكان فى كامل ازدهاره ، وفى قمة قوته وصحته . كان كل جزء من جسمه حيا نشطا . وكانت استجابته للمشاهد والاصـــوات والاحداث التى تتطلب رد فعل ، سريعة تدهش الجميع . كان فى قدرته أن يقفز بسرعة مضاعفة عن أى كلب آخر ليدافع عن نفسه أو ليقوم بأى هجوم . فهو يرى الحركة أو يسمع الصوت ، ويستجيب قبل أن يكون أى كلب آخر قد رأى أو سمع أى شىء . كان يرى ويفكر ويرد فى نفس اللحظة،

فالحياة تجرى فى عروقه وتملأ كل جزء من جسمه .. كان من الواضح أن الحيز المكانى لا يكفى كل الحياة المتدفقة عبر جســـده وانها تريد أن تغدق العالم بكل طاقاتها المتفجرة .

قال جون ثورنتون ، فى أحد الايام اثناء مراقبتهم لباك وهو يخرج من المعسكر :

— ليس لهذا الكلب مثيل ابدا .

لقد شاهدوه وهو يخطو خارج المعسكر ، لكنهم لم يشاهدوا التغير المفاجىء والمخيف الذى يحدث له عندما يكون فى الغابة . اذ كان لا يمشى ، بل يصبح على الفور شيئا من البرية ، متحركا برشـــاقة مثل القط . كان كالخيال المارق يظهر ويختفى بين الظلال . كان يعرف كيف يختبىء ، وكيف يزحف على معدته مثل الثعبان ، ومثل الحية ينقض ويضرب . لا يوجد حيوان أسرع منه . وكان يقتل ليأكل ، وليس لمجرد المتعة فقط ، لكنه كان يحب أن يأكل ما يقتله بنفسه .

وبعدما ولى الصيف ، ظهر الثور البرى(*) يتحرك ببطء هابطا من المرتفعات لقضاء الشـــتاء فى الوديان الدافئة .

لقد قتل باك من قبل ثورا بريا صغيرا كان يتجول بعيدا عن الآخرين .

والآن ، يريد ان يصطاد ثورا بريا كبيرا .

وفى احد الايام التقى بقطيع مكون من عشرين ثورا بريا عند مصب نهر صغير . لقد عبرت الثيران قادمة من أرض النهيرات والغـــــابات . وزعيمهم كان ثورا بريا عظيما . وكان حيوانا غاضبا ، ارتفاعه ستة أقدام عن سطح الارض ، كان حيوانا مرعبا يفوق رغبة باك فى قتال أمثاله . كان الثور يلقى برأسه للخلف وللامام .. وكانت عيناه الصغيرتان تشتعلان ببريق الشر ، أثناء زمجرته الغاضبة عند رؤيته لباك .

(*) أو البقر الوحشى وهو :
حيوان ضخم من حيوانات أمريكا الشمالية .

لاحظ باك طرف سهم به ريش يخرج من جانب الثور .. وكان هذا هو السبب المباشر لغضبه الشرس . وعرف باك فى الحال ما يفعله . بدأ يسحب الثور بعيدا عن بقية القطيع . ولم تكن مهمة سهلة . أخذ ينبح ويرقص هنا وهناك أمام الثور ، ولكن بعيدا عن الرأس القوى والقدم المهول الذى كان يستطيع قتله بضربة واحدة . لم يكن الثور قادرا أن يدير ظهره لباك ، واستمر فى ملاحقته ، وازداد غضبه أكثر وأكثر . وهاجم باك ، فتراجع باك ، جاعلا الثور يعتقد أنه لا يستطيع الفرار . وبهذه الطريقة اجبر الثور على بملاحقته . لكن عندما انفصل الثور الضخم عن زملائه ، جاء اثنان أو ثلاثة من الثيران الشابة وهاجموا باك وساعدوا الثور المصاب للحاق بالقطيع ثانية .

تعرف الحيوانات البرية كيف تنتظر . أنها لا تتعجل الأمور . فتنتظر ساعة وراء ساعة حتى تأتى اللحظة المناسبة ، وعندئذ توجه ضربتها . كان باك يعرف كيف ينتظر . ظل بجانب قطيع الثيران ، ملازما لهم ، يخفض من سرعة سيرهم ، يثير غضـــب الثيران الصغيرة ،

ويخيف الابقار مع صغارها ، يدفع الثور المصاب الى الجنون بغضب عنيف ولكنه كان عاجزا لا خوف منه .. واستمر هذا لنصف يوم . واخذ باك يهاجم من كل الجوانب ، فاصلا الثور المصاب عن الآخرين الذى يعود ثانية بسرعة لاحقا بهم . وأصبحت الثيران جميعها متعبة . كانوا لا يقدرون على الانتظار طويلا مثلما ينتظر باك .

ومع استمرار النهار وانحدار الشمس الى خدرها فى الشمال الغربى ، قلت أعداء الثيران الشابة المتطوعة لمؤازرة الثور العجوز . وكان الشتاء يدفع بهم بسرعة الى الوديان ، ويبدو أنهم لم يقدروا على ابعاد باك .. بالاضافة الى أن الخطر لم يكن يهدد حياة قطيع الثيران أو الشباب منهم . كان المقصود حياة عضو واحد فقط ، وهذا لا يستحوذ على نفس الاهتمام مثلما لو كانت حياتهم جميعا فى خطر ، كما أنهم أصبحوا أقل استعدادا لمساعدة الثور العجوز .

وعندما خيم الليل وقف الثور العجوز ورأسه الى أسفل ، يراقب بقية أفراد القطيع المستمرين فى رحلتهم السريعة عبر الضوء المعتم . لم يستطع أن يحذو حذوهم

لأن الرعب كان يقفز أمامه ولن يدعه يذهب معهم . لقد عاش الثور العظيم حياة طويلة قوية ، مليئة بالقتال والصراع . وفى النهاية يواجه الموت على أسنان مخلوق لا يصل راسه الا لركبته العظيمة .

واســـــتمر باك فى ملاحقة الثور العجوز ليل نهار لا يتركه أبدا ، فلم يعطه لحظة راحة واحدة ، ولم يسمح له مطلقا أن يأكل من أوراق الشجر ولا يشفى غليل عطشه فى النهيرات الضيقة التى كانا يعبرانها . وكان الثور أحيانا يجرى لفترة طويلة ، فلم يكن باك يحاول ايقافه فى مثل هذه الاوقات ، لكن يتبعه بسهولة ، راضيا بالطريقة التى تتم بها اللعبة ، ويستلقى على الارض عندما يقف الثور ساكنا ، ويهاجمه بشراســـــة عندما يحاول الأكل أو الشرب .

وأخذ الرأس العظيم يهبط لأسفل اكثر واكثر ، كلما ازداد الثور ضعفا على ضعف . وبدأ يقف لمدة طويلة ، وأنفه للارض وأذناه منخفضتان بلا أى علامة للقوة . وكان باك يجد الوقت ليرتاح وليشرب . فى مثل هذه اللحظات بدأ باك بلسانه الأحمر المتدلى وبعينيه المثبتتين على الثور الكبير يحس أن تغيرا فى الأمور لابد أن يحدث

.. كان يمكنه أن يحس بأى شىء جديد يتحــرك على الأرض . ولما كان الثور البرى قادما الى المنطقة ، فكذلك كانت أنواع أخرى من الحياة قادمة . وغدت الغابة والنهر والهواء وكل شىء ينبض بوجودها .. ووصله خبرها لا بالرؤية ولا بالصـــورة ولا بالرائحة ولكن باحساس ما آخر أعمق . فهو لم يسمع شيئا ولم ير



الصراع بين باك والثور الوحشى



شيئا ولكنه عرف أن الارض غدت مختلفة بطريقة ما ، وأن أشياء غريبة تتحرك خلالها . وقرر أن يرى ما يحدث بعدما يقتل الثور العجوز .

واخيرا ، فى نهاية اليوم الرابع ، قهر باك الثور العظيم وبقى ليوم وليلة بجانب الثور الميت الذى قد قتله، ياكل وينام . وبعدما ارتاح وانتعش وازداد قوة على قوة ، ادار وجه شطر المعسكر وجون ثورنتون . وشرع فى ركض سهل طويل ، واستمر ساعة بعد ساعة ، عائدا مباشرة لمقره عبر أراضى غريبة واثقا تماما من الاتجاه .

وكان ، اثناء استمراره يشعر أكثر وأكثر بالحركة الحديثة فى الارض . كانت فيها حياة تدب ، تختلف عن الحياة التى كانت عليها خلال الصيف . لقد تحدثت الطوير عنها والحيوانات والريح نفسها همست بها . وتوقف مرات عديدة وتنسم هواء الصباح المنعش فى شـــــهيق عظيم . وبدا حاملا رسالة جعلته يواصل جريه فى سرعة اعلى . وجاءه احساس بأن شيئا فظيعا كان يحدث ، ان لم يكن قد حدث . وعندما عبر النهير الاخير وهبط نازلا الى الوادى نحو المعسكر ، ركض بحرص أكثر .

وعندما وصل الى بعد ثلاثة أميال من ممر جديد ملأه بالخوف . كان الممر يؤدى مباشرة الى المعسكر والى جون ثورنتون . واصل باك الركض مسرعا وفى هدوء ، وكانت كل علامة تروى قصة .. قصـــة كاملة الا من نهايتها . واخبره انفه بما قد حدث ولاحظ سكون الغابة .. لقد ولت دنيا الطيور . ولاذت الكائنات الصغيرة بالفرار مختبئة فى الغابة .

وأثناء ركض باك مثل الخيال الصامت ، تحرك أنفه فجأة جانبا وكأن قوة عظيمة قد سحبته . ولاحق الرائحة فأوصلته الى شجيرة فوجد نيج بالقرب منها مستلقيا على جانبه ، فاقدا الحياة حيث جر نفسه جرا ، وسهم نافذ عبر جسده .

وعلى بعد مائة ياردة ، عثر باك على واحد من كلاب الزحافة التى كان قد اشتراها جون ثورنتون فى داوسن .. وكان الكلب ينازع الموت فى الم شديد ، فمر باك عليه دون أن يقف . وجاءه من المعســـكر أنين خافت بأصوات عديدة ، يصعد ويهبط كنوع من الترانيم ..

فزحف للامام الى ان وصل المعســــكر ، فوجد هانز مستلقيا على وجهه ، وسهاما مغروزة فى ظهره . وفى نفس اللحظة تطلع باك الى المكان الذى كان يوجد فيه الكوخ . فرأى شيئا جعل شعره يقف منتصبا عند عنقه وكتفيه . لقد كتم احساسا عظيما من الغضب . ولم يعرف أنه زمجر ، لكنه زمجر بصوت عال .. صوت عنيف ومخيف . ولآخر مرة فى حياته سمح لأحاسيسه القوية أن تهزم صوابه ورشده . وكان هذا بسبب حبه العظيم لجون ثورنتون الذى قد أطيح برأسه .

كانت الهنود ترقص حول بقايا الكوخ الصغير عندما سمعوا صرخة مرعبة ورأوا باك يندفع نحوهم . لم يروا مطلقا حيوانا مثله من قبل . كانت رغبة باك الوحيدة أن يدمرهم عندما ألقى بنفسه عليهم . وانقض على أقرب رجل منهم وكان زعيمهم . وفى ثانية كانت أسنان باك قد قطعت حنجرة الرجــــل فانفتح عنقه على مداه . ولم يتوقف ، ومع القفزة التالية ، فتح حنجرة رجل ثان . ولم يوجد أى شىء يمكن للهنود أن يفعلوه . اذ قفز باك فى وسطهم ، ولم يتوقف أبدا عن تخريبه ، وكان يتحرك

بسرعة رهيبة لا تدع فرصة للسهام أن تضربه . فى الحقيقة ، كانت حركاته سريعة خاطفة وكان الهنود متجمعين سويا متلاصقين ، حتى أنهم أصابوا بعضهم البعض بالسهام وأصاب أحد القناصة الشباب ، فى محاولته رمى رمح على با ك، صدر قناص آخر بقوة شديدة حتى أن السن المدبب قد اخترق الظهر وظل عالقا من الخلف . ثم استدار بقية الهنود وفروا مولولين من الرعب الى الغابات صـــــارخين معلنين أن الروح الشريرة قد جاءتهم .

وكان باك كالشـــــيطان بالفعل ، يلاحقهم ويمزق بعضهم أثناء سباقهم عبر الاشجار . كان يوما لا ينساه الهنود أبدا ، لقد ولوا هاربين بعيدا منتشرين فى الغابات .. ولم يعودوا للم شملهم الا بعد أســـــبوع فى وادى منخفض وأخذوا يحسبون خسائرهم .

وعاد باك للمعسكر بعد أن تعب من الملاحقة . . فعثر على بيت حيث قتل فى سريره فى أول لحظـــــة من المباغتة . وعلى الارض كانت توجد عـــلامات الصراع

الاخير لثورنتون . واخذ باك يشم كل علامة الى أن وصل لحافة النهر . فشاهد سكيت مستلقية عند حافة النهر ، وراسها وقدماها الاماميتان فى الماء .. مخلصة الى النهاية . كانت مياه النهر غير صافية وكانت تخفى ما فيها ، وكان فيها جون ثورنتون . وعرف باك هذا ، لانه قد اقتفى الآثار حتى قادته الى الماء وانقطعت من بعدها .

لازم باك النهر الصغير طوال اليوم اما جالسا أو متجولا حول المعسكر . كان يعرف ماذا يعنيه الموت .. توقف الحركة والرحيل عن حياة الاحياء . وكان يعرف ان جون ثورنتون قد مات . لقد ترك حيزا فارغا فى داخله مثل الجوع تقريبا ، ولكنه فراغ لا يمكن أن يملأه الطعام .. واحيانا عندما كان يقف لينظر الى جثث موتى الهنود ، كان ينسى آلامهم . وكان يشعر فى تلك الاوقات بفخر عظيم فى داخله .. فخر أعظم من أى فخر آخر مر به . لقد قتل انسانا ، أنبل المخلوقات كلها . ولقد قتل فى مواجهة الهراوات . وكان يشم الابدان بفضول . لقد ماتوا بكل سهولة كان من الاصعب ان يقتل كلبا بريا

عن قتلهم هم . كان يستطيع أن يهزمهم بسهولة لولا سهامهم ورماحهم وهراواتهم .. ومن الآن فصاعدا لن يخشاهم الا عندما يكونوا حاملين فى أيديهم سهامهم ورماحهم وهراواتهم .

وجاء الليل . وارتفع البدر فى السماء فوق الاشجار، ينير الارض حتى الصباح . ومع مجيء الليل، يصيح باك متقدا بالحيوية للتحول الى الحياة الجديدة فى الغابة . كان يقف وينصت ويشم . وكانت تأتى من بعيد صرخة حادة ، باهتة ، يتبعها صرخات حادة أخرى . ومع مرور الوقت تزداد الصرخات قربا وارتفاعا . وعرفها باك ثانية كأشياء سمعها فى العالم الآخر الذى لم يستطع نسيانه . ومشى الى منتصف الارض المكشوفة وانصت ، وكان النداء . النداء ذو النغمات العديدة ، كان آمرا وفعالا أكثر من أى وقت مضى . وكان هو مستعدا للطاعة وليس كما كان من قبل . لقد مات جون ثورنتون .. لقد تحطم آخر شيء كان يربطه بعالم الانسان .

ومع انشغال قطيع الذئاب بصيد اللحوم التى يحيون عليها خلف البقر الوحشى عبروا أخيرا أرض الجداول

المائية والغابات ودخلوا وادى باك. وانسكبوا فى مجرى من الفضة الى الارض المكشوفة حيث يسقط ضوء القمر .. وكان فى منتصف الارض المكشوفة يقف باك ، ساكنا منتظرا قدومهم . فامتلأوا بالخوف ، اذ كان واقفا بلا حراك بهيكله الضخم . ولم يتحرك واحد منهم للحظة . ثم انطلق اشجعهم اليه مباشرة ، فضربه باك فى الحال وكسر عنقه . ثم وقف بلا حراك مثلما كان من قبل .. وحاول ذلك ثلاثة آخرون ، فانسحب الواحد منهم تلو الآخر ، والدم يسيل من الحناجر الممزقة أو الاكتاف المصابة .

كان هذا كافيا لهجوم القطيع كله ، فتجمهروا سويا وكلهم صغف لقهر باك لدرجة أنهم لم يكونوا قادرين على التفكير بوضوح . وكانت سرعة باك الرائعة عاملا مســـــاعدا كبيرا له . كان فى كل مكان فى وقت واحد باستدارته على ساقيه الخلفيتين مع فتح وقفل فمه بسرعة . ولكن ، لكى يمنعهم من التفاف من خلفه ، اندفع للخلف ، ونزل الى النهير . وتحرك على طول الضفة الى مكان قد شيده الرجال العاملون بالمنجم .

وهنا وقف لمواجهة الذئاب ، محميا بجوانب ثلاثة ، وما كان عليه الا أن يواجه الواجهة فقط .

فى هذا المكان واجه باك الذئاب بشكل جيد جدا حتى أنهم فى غضون نصف ساعة انسحبوا ، وكانت السنتهم تتدلى من أفواههم ، وأسنانهم البيضاء الطويلة تظهر بقسوة فى ضوء القمر . كان بعضهم راقدا ورؤوسهم مرتفعة وآذانهم مصوبة للامام ، وكان البعض الآخر يقف على اقدامه ، يراقبونه ، وكان آخرون لايزالون يشربون الماء من النهير . وتقدم احد الذئاب بحذر شديد ، وكان طويلا نحيلا ورمادى اللون . وكان تقدمه بطريقة ودية . وتعرف باك على أخيه البرى الذى ركض معه لمدة يوم وليلة . كان يعوى بلطف وأثناء عواء باك ردا لعوائه تلامسا بأنفيهما .

ثم تقدم ذئب عجوز به آثار قتال ومعارك عديدة على جسده . حرك باك شفتيه استعدادا لزمجرة غاضبة ، لكنه أخذ يتبادل شم الأنوف . ثم جلس الذئب العجوز ، موجها أنفه جهة القمر وأطلق عواء ذئب ممتد

.. وجلس الآخرون وعووا . والآن جاء النداء الى باك واضحا فجلس هو أيضا وعوى . وعندما انتهى هذا ، خرج من الضفة وتجمهر القطيع حوله ، يتشممون بطريقة نصفها ود ونصفها عنف . وصرخت القادة وانطلقوا بعيدا الى الغابات . وتبعهم بقية الذئاب صارخين سويا . وركض باك معهم ، جنبا الى جنب مع أخيه البرى ، صارخا أثناء جريه .

وهنا يستحسن أن ننهى قصة باك . وبعد سنوات ليست بالكثيرة لاحظ الهنود تغيرا فى الذئاب . اذ كانوا يرون بعض الذئاب بعلامات بنية على رءوسها ، وخط أبيض هابط عند منتصف الصدر . ولكن هذا لم يكن كل شىء ، فالهنود تقول وتتحاكى عن كلب شبح يركض على رأس القطيع . وأنهم يخافون هذا الكلب الشبح ، لأنه أعظم منهم . انه يسرق من معسكراتهم فى فصول الشتاء القارسة ، ويأخذ الطعام من فخاخهم ، ويقتل كلابهم ، ولا يخاف من أشجع شجاع قناصتهم .

وازدادت القصة سوءا .. بوجود قناصة يفشلون فى العودة الى المعسكر . كما يوجد أيضا قناصة يعثرون عليهم وحناجرهم مفتوحة تماما مع آثار ذئب عملاق حولهم فى الثلج . وبعد كل صيف ، عندما يتبع الهنود تحرك البقر الوحشى ، كان يوجد وادى معين لا يدخلونه أبدا . هناك النساء أصبحن حزانى عندما انتشرت قصـــص تروى عن كيف جاءت الروح الشريرة لتختار ذلك الوادى لتعيش فيه .

وفى فصول الصــيف كان يوجد زائر واحد لذلك الوادى ، الذى لا تعرفه الهنود . انه ذئب عظيم يشبه كل الذئاب الأخرى ، وفى نفس الوقت لا يشبهها . كان يعبر بمفرده من الارض الباسمة للغابات ويأتى هابطا الى الارض المكشوفة بين الاشجار . وهنا يفيض مجرى أصفر من أكياس الذهب القديمة وينسكب على الارض التى تنمو عليها الاعشاب الطويلة فتخفى صفارها من الشمس . وهنا يحلم لفترة ، ويعوى مرة ، بشكل طويل وحزين ، قبل أن يرحل .

ولكن عندما تأتى ليالى الشتاء الطوال وتلاحق الذئاب غنائمها فى الوديان المنخفضة ، كان يمكن مشاهدة باك راكضا على رأس القطيع عبر الضوء الفضى للقمر . فيظهر عملاقا بين أقرانه ، ويصـــــدر عواء طويلا من حنجرته العظيمة وهو يغنى أغنية العالم الأصغر ... عالم الانسان .. التى هى أغنية القطيع !

الفهـــــرس

اقرأ فى هذه السلسلة :

٥ — **المغامرات المرحة لروبن هود :**
تأليف : هوارد بايل .
ترجمة : نادية فريد .

٦ — **الفـــاز :**
تأليف : ادجار الان بو .
ترجمة : نادية فريد .

٧ — **عائلة من سويسرا :**
تأليف : يوهان فايس .
ترجمة : سناء صليحه .

٨ — **مغامرات توم سوير :**
تأليف : مارك توين .
ترجمة : مختار السويفى .

٩ — **مغامرات هكلبرى فين :**
تأليف : مارك توين .
ترجمة : مختار السويفى .

١٠ ــ رحلة كون تيكى :
تأليف : ثور هايردال .
ترجمة : محمد العزب موسى .

١١ ــ حكايات من شكسبير(١) :
تأليف : وليم شكسبير .
ترجمة : الشريف خاطر .

١٢ ــ المزيف :
تأليف : روبرت أونيل .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٣ ــ المخطوف :
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٤ ــ الفرسان الثلاثة :
تأليف : الكسندر دوماس .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٥ ــ الأرض الطيبة :
تأليف : بيرل بك .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٦ ــ حول العالم فى ثمانين يوما :
تأليف : جول فيرن .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٧ ــ رحلة الى مركز الأرض :
تأليف : جول فيرن .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٨ ــ سجين زندا :
تأليف : انتونى هوب .
ترجمة : محمد العزب موسى .

١٩ ــ انا كارنينا :
تأليف : ليو تولستوى .
ترجمة : محمد العزب موسى .

٢٠ ــ جين اير :
تأليف : شارلوت برونتى .
ترجمة : صبرى الفضل .

٢١ ــ مرتفعات وذرنج :
تأليف : اميلى برونتى .
ترجمة : صبرى الفضل .

٢٢ ــ رجال عظام ونساء عظيمات :
تأليف : ليزلى ليفيت .
ترجمة : مختار السويفى .

٢٣ ــ دافيد كوبر فيلد :
تأليف : تشارلس ديكنز .
ترجمة : مختار السويفى .

٢٤ ــ حكاية مدينتين :
تأليف : تشارلس ديكنز .
ترجمة : حسين البنهاوى .

٢٥ ــ اوقات عصيبة :
تأليف : تشـارلس ديكنز .
ترجمة : د . على كامل شحاته .

٢٦ ــ مذكرات بيكويك :
تأليف : تشارلس ديكنز .
ترجمة : د . أنور شتا .

٢٧ ــ توم جونس :
تأليف : هنرى فيلدنج .
ترجمة : نادية فريد .

٢٨ ــ الزنبقة السوداء :
تأليف : الكسندر دوماس .
ترجمة : صبرى الفضل .

٢٩ ــ بعيدا عن الناس :
تأليف : توماس هاردى .
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال .

٣٠ ــ العقل والعاطفة :
تأليف : جين أوستن .
ترجمة : صبرى الفضل .

٣١ ــ الكبرياء والهوى :
تأليف : جين أوستن .
ترجمة : صبرى الفضل .

٣٢ ــ حكايات من شكسبير(٢) :
تأليف : وليم شكسبير .
ترجمة : الشريف خاطر .

٣٣ ــ ذات الرداء الأبيض :
تأليف : ويلكى كولينز .
ترجمة : نادية فريد .

٣٤ ــ جزيرة الكنز :
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .
ترجمة : مختار السويفى .

٣٥ — كنوز الملك سليمان :
تأليف : سير رايدر هاجارد .
ترجمة : مختار السويفى .

٣٦ — دكتور جيكل ومستر هايد :
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .
ترجمة : مختار السويفى .

٣٧ — قلعة الخطر :
تأليف : مارى ستيورات .
ترجمة : صبرى الفضل .

٣٨ — ابناء الغابة الجديدة :
تأليف : كابتن ر . ن . ماريات .
ترجمة : نادية فريد .

٣٩ — ثلاثة رجال فى قارب :
تأليف : جيروم ك . جيروم .
ترجمة : د . على كامل شحاته .

٤٠ ــ اللؤلؤة :
تأليف : جون شتاينبك .
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال .

٤١ ــ آخر أيام بومبى :
تأليف : لورد ليتون .
ترجمة : صبرى الفضل .

٤٢ ــ شجرة الجكاراندا :
تأليف : هـ . أ . بيتس .
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال .

٤٣ ــ كيبس :
تأليف : هـ . ج . ويلز .
ترجمة : عبد الغنى داود .

٤٤ ــ من الأرض الى القمر :
تأليف : جول فيرن .
ترجمة : صبرى الفضل .

٤٥ — اول رجال على سطح القمر :
تأليف : هـ . ج . ويلز .
ترجمة : صبرى الفضل .

٤٦ — ارواح شريرة :
تأليف : هنرى جيمس .
ترجمة : الشريف خاطر .

٤٧ — خليج القرصان الفرنسى :
تأليف : دافنى دى موزييه .
ترجمة : سعد توفيق .

٤٨ — قصص قصيرة من الأدب العالمى(١) :
تأليف : نخبة من الأدباء العالميين .
ترجمة : مى التلسمانى .

٤٩ — ايفانهو :
تأليف : سير والترسكوت .
ترجمة : صبرى الفضل .

٥٠ ــ قصص قصيرة من الأدب العالمى(٢) :
تأليف : نخبة من الأدباء العالميين .
ترجمة : محمد العزب موسى .

٥١ ــ قصص قصيرة من الأدب العالمى(٣) :
تأليف : نخبة من الأدباء العالميين .
ترجمة : محمد العزب موسى .

٥٢ ــ مون فليت :
تأليف : ج . ميدفوكنر .
ترجمة : مختار السويفى .

٥٣ ــ ابكى يا بلادى الحبيبة :
تأليف : آلان باتون .
ترجمة : محمد العزب موسى .

٥٤ ــ مزرعة الحيوان :
تأليف : جورج أورويل .
ترجمة : صبرى الفضل .

٥٥ — هى أو عائشة :
تأليف : سير رايدر هاجارد .
ترجمة : صلاح عز الدين .

٥٦ — شيرلوك هولمز (٧ قصص) :
تأليف : سير آرثر كونان دويل .
ترجمة : نادية فريد .

٥٧ — الكونت دى مونت كريستو :
تأليف : السكندر دوماس .
ترجمة : صبرى الفضل .

٥٨ — سيلاس مارنر :
تأليف : جورج اليوت .
ترجمة : صبرى الفضل .

٥٩ — آلة الزمن :
تأليف : هـ . ج . ويلز .
ترجمة : محمد العزب موسى .

٦٠ ــ البحيرة الزرقاء :
تأليف : هـ . دى فيرستاكبول .
ترجمة : مى التلمسانى .

٦١ ــ موجول :
تأليف : جون اليوت .
ترجمة : مى التلمسانى .

٦٢ ــ الرجــل الخفى :
تأليف : هـ . ج . ويلز .
ترجمة : الشريف خاطر .

٦٣ ــ عالم رائع جديد :
تأليف : الدوس هكسلى .
ترجمة : الشريف خاطر .

٦٤ ــ روبرت أوف هنتزو .
تأليف : انتونى هوب .
ترجمة : د . على كامل شحاته .

٦٥ — مون ســـــتون :

تأليف : ويلكى كولينز .
ترجمة : نادية فريد .

٦٦ — فارس من اسكتلندا :

تأليف : سير والتر سكوت .
ترجمة : مى التلمسانى .

٦٧ — روبنسون كروزو :

تأليف : دانييل ديفو .
ترجمة : مختار السويفى .

رقم الايداع ١٩٩٤/٧٧٨٧

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 4057 — 0

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب